رئاسة الشؤون الدينية
بالمسجد الحرام والمسجد النبوي

قيم الحرمين

تقديم
معالي الشيخ الأستاذ الدكتور
عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس
رئيس الشؤون الدينية بالمسجد الحرام والمسجد النبوي
إمام وخطيب المسجد الحرام

مطبوعات قاصد الحرمين الشريفين

قيم الحرمين

تقديم

معالي الشيخ الأستاذ الدكتور

عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس

رئيس الشؤون الدينية بالمسجد الحرام والمسجد النبوي

إمام وخطيب المسجد الحرام

ⓒ رئاسة الشؤون الدينية بالمسجد الحرام والمسجد النبوي، ١٤٤٦هـ

معالي الشيخ الأستاذ الدكتور عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس

قيم الحرمين./معالي الشيخ الأستاذ الدكتور عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس

- ط١. .- مكة المكرمة، ١٤٤٦هـ

٩٦ص، ١٤×٢١سم

رقم الإيداع: ١٤٤٦/١١٢٨٣

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٥٠٦-٤٤-٨

مطبوعات قاصد الحرمين الشريفين

الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م

نشر

قاصد الحرمين الشريفين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة رئاسة الشؤون الدينية بالمسجد الحرام والمسجد النبوي

الحمدُ للهِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ رسول اللهِ، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ ومَنْ والاه، أمَّا بعدُ:

فقدْ جعلَ اللهُ تعالىٰ البيتَ الحرامَ قِبلةً تجتمعُ صَوْبَها قلوبُ المسلمينَ وأجسادُهُمْ، وهدًىٰ للعالمينَ، وحَرمًا آمنًا، يتحقَّقُ بتعظيمِهِ صلاحُ النَّاسِ في مَعاشِهِمْ، ومَعادِهِمْ.

وفي كلِّ عامٍ يَفِدُ إلىٰ البلدِ الحرامِ ملايينُ المُسلمينَ، يحملونَ معهُمْ آمالَهُمْ، ومَشاعرَهُمْ، وأمنيَّاتِهِمْ، وكذلكَ أسئلتَهُمْ عمَّا يجبُ عليهِمْ تُجاهَ دينِهِمْ، وما أشكلَ عليهِمْ في عباداتِهِمْ، ومُعاملاتِهِمْ.

ومِنْ هذا المُنطلَقِ، كانَ تعظيمُ المَسجدِ الحرامِ، وإكرامُ أهلِهِ والوافدينَ إليهِ واجبًا، ومَسؤوليةً عظيمةً، وقدْ تشرَّفتْ «**رئاسةُ الشُّؤونِ الدِّينيَّةِ بالمَسجدِ الحرامِ، والمَسجدِ النَّبويِّ**» بحملها، والقيامِ بها علىٰ أكمل وجهٍ.

فهذا مشروعُ «**مطبوعاتِ قاصد الحرمين الشريفين**» تعبيرٌ صادقٌ عمَّا يُكنُّهُ أهلُ هذهِ البلادِ المُباركةِ، والقائمونَ علىٰ خدمةِ البيتِ الحَرامِ مِنْ مَشاعِرَ تُجاهَ وفدِ الرَّحمنِ، وتقديمٌ لهديَّةٍ ثمينةٍ يحملُها الزَّائرُ معَهُ، ويفخرُ بها حالَ عودتِهِ إلىٰ بلدِهِ.

وإنَّ «**رئاسةَ الشُّؤونِ الدِّينيَّةِ بالمسجدِ الحرامِ، والمَسجدِ النَّبويِّ**» -إذ تضعُ بينَ يدَيْ إخوانِنا ضيوفِ الرَّحمنِ هذا الكتيِّبَ الإرشاديَّ، الَّذي يشتمل علىٰ القِيَم السبع التي تنطلق منها الرئاسةُ، وتسعىٰ إلىٰ تحقيقها في جميع مُبادراتها ومشاريعها وخدماتها لقاصدي الحرَمَين الشريفَين، انطلاقًا من تحقيق رسالتها السامية: «تمكينُ القاصِدِين من أداء العبادةِ علىٰ بَصيرة، في بِيئةٍ ثَريَّةٍ، ونشر الهداية والعِلم الشَّرعيّ وَفقَ منهج الوَسَطِيَّة»- لتأمُلُ مِنْ إخوانِنا الزائِرينَ أن يتفقَّهوا في دينِهِمْ، ويشكروا مَولاهُمُ، الَّذي يسَّرَ لهُمْ زيارةَ بيتِهِ المُعظَّمِ، وأداءَ مَناسكِهِمْ بكلِّ طمأنينةٍ ويُسرٍ.

تقبَّلَ اللهُ منَّا، ومنكُمْ صالحَ الأعمال، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ، وعلىٰ آلِهِ، وصحبِهِ وسلَّم.

رئاسة الشؤون الدينية بالمسجد الحرام والمسجد النبوي

تقديم

الحمد لله الذي جعل بيته الحرام ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥]، يثوبون إليه في كل حين فلا يخلو من الزُّوَّار والمُعتمرين، والطائفين والعاكفين، والراكعين والساجدين، ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ [المائدة: ٢]، ويرجون منه جودًا وإحسانًا، فهو الغني الكريم وهو ذو الفضل العظيم.

والصلاة والسلام علىٰ من بعثه الله ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ذلك النبي الكريم الذي أرسله ربه ﴿شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]، ولد في مكة حيث بيت الله الحرام، وهاجر إلىٰ المدينة حيث أقام دولة الإسلام ونشر مبادئ العدل والأمن والسلام، فلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينَةَ كَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ؛ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِسَلَامٍ**»[1].

(١) رواه الترمذي (٢٤٨٥).

أما بعد:

فإن كل منظمة أو مؤسسة تسعىٰ إلىٰ الوصول إلىٰ أهدافها، وتحقيق مآربها وتطلعاتها، وهذا لا يتحقق بمجرد التخيل والتمني، بل لا بُدَّ من الجِدِّ والعمل، وصدق من قال:

وَما نَيلُ المَطالبِ بِالتَمَنّي وَلَكِن تُؤخَذُ الدُنيا غِلابا

ولا بُدَّ لأي منظمة ناجحة -كي يستمر نجاحها، ويتدفق عطاؤها- من تبنِّي قيم ومبادئ تقوم عليها محاور أصولها، وتنبثق منها مخارج فصولها، وتنطلق منها مساعيها وجهودها نحو أهدافها مع رجاء حصولها.

وقيم الحرمين الشريفين أرقىٰ وأسمىٰ من كل القيم، إذ هي مستمدة من المنظومة المباركة للقيم الإسلامية، التي هي مستمدة من الكتاب والسنة، وهما النور المبين والصراط المستقيم ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة:١٥-١٦].

ذلك بأنه لا توجد قيمة ذات شرف ومكانة إلا ولها أصل في نصوص الوحيين، إما بالنص، وإما بالاستنباط؛ فإن رسولنا

الكريم ﷺ بعث ليتمم مكارم الأخلاق، وشريعته المطهرة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، فما من معروف إلا وحثت عليه، وما من منكر إلا ونهت عنه، ولذلك أرسل الله رسوله الكريم للناس كافة ﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فـ«دلَّت الآيَة علىٰ أَنه ﷺ أَمرهم بِالمَعْرُوفِ الَّذِي تعرفه العُقُول وتقر بحسنه الفطر فَأَمرهمْ بِمَا هُوَ مَعْرُوف فِي نَفسه عِنْد كل عقل سليم ونهاهم عَمَّا هُوَ مُنكر فِي الطباع والعقول بِحَيْثُ إِذا عرض علىٰ العُقُول السليمة أنكرته أَشد الإِنْكَار كَمَا أَن مَا أَمر بِهِ إِذا عرض علىٰ العقل السَّليم قبله أعظم قبُول وَشهد بحسنه كَمَا قَالَ بعض الأَعْرَاب وَقد سُئِلَ بِمَ عرفت أَنه رَسُول الله؟ فَقَالَ «مَا أَمر بِشَيْء فَقَالَ العقل ليته ينْهَىٰ عَنهُ وَلَا نهىٰ عَن شَيْء فَقَالَ ليته أَمر بِهِ».

فَهَذَا الأَعرَابِي أقر عقله وفطرته بِحسن مَا أَمر بِهِ ﷺ وقبح مَا نهىٰ عَنهُ، حَتَّىٰ كَانَ فِي حَقه من أَعْلَام نبوته وشواهد رسَالَته»[1].

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ٦).

وبعدما انتقل رسولنا الكريم صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلىٰ الرفيق الأعلىٰ سعت الأمة من بعده سعيه الحميد، ومضت علىٰ مسلكه الرشيد، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ثم قال تعالىٰ بعد ذلك: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

«وَإِنَّمَا حَازَتْ هَذِهِ الأُمَّةُ قَصَبَ السَّبْق إِلَىٰ الخَيْرَاتِ بِنَبِيِّهَا مُحَمَّدٍ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَإِنَّهُ أشرفُ خَلْقِ اللهِ وأَكْرَمُ الرُّسُل عَلَىٰ اللهِ، وَبَعَثَهُ اللهُ بِشَرْعٍ كَامِلٍ عَظِيمٍ لَمْ يُعْطه نَبِيًّا قَبْلَهُ وَلَا رَسُولًا مِنَ الرُّسُل. فَالعَمَلُ عَلَىٰ مِنْهَاجِهِ وَسَبِيلِهِ، يَقُومُ القليلُ مِنْهُ مَا لَا يَقُومُ العملُ الكثيرُ مِنْ أَعْمَال غَيْرِهِمْ مَقَامَهُ»[1].

فـ«هذا تفضيل من الله لهذه الأمة بهذه الأسباب، التي تميزوا بها وفاقوا بها سائر الأمم، وأنهم خير الناس للناس، نصحًا، ومحبةً للخير، ودعوةً، وتعليمًا، وإرشادًا، وأمرًا بالمعروف، ونهيًا عن المنكر، وجمعًا بين تكميل الخلق، والسعي في

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٩٤).

منافعهم، بحسب الإمكان، وبين تكميل النفس بالإيمان بالله، والقيام بحقوق الإيمان»[1].

ومن هذه القيم الشريفة والمبادئ الشرعية المنيفة: قيم عليا خلقية كقيمة الإحسان والعدل والأمانة والصدق، وقيم اجتماعية كلزوم الجماعة والتعاون والتكافل، وقيم حضارية كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجمال والسلام، وقيم اقتصادية كالقناعة والعفاف، وقيم نفسية كالتواضع وخفض الجناح.

وجميع القيم الإسلامية النابعة من ديننا الحنيف ندعو إليها ونحث عليها ونسعىٰ لامتثالها وتعزيزها في خطب الحرمين الشريفين ودروسه ومبادراته ومشاريعه.

غير أن رئاسة الشؤون الدينية بالمسجد الحرام والمسجد النبوي قد ركزت في هذا الجهاز كمنظومة مؤسسية في ملامح استراتيجيتها علىٰ سبع قيم جامعة تسعىٰ لامتثالها مؤسسيًّا ولدىٰ أفرادها العاملين فيها مع تبني نشرها وتوضيحها لدىٰ شركاء النجاح والقاصدين أيضا ليعم نفعها ويعظم أثرها.

وهي في الحقيقة إذ تتبنىٰ هذه القيم السبع وتسعىٰ إلىٰ ترسيخها

(١) تفسير السعدي (ص٩٧٢).

ونشرها إنما تعمل بكتاب ربها وسنة نبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن هذه القيم مستمدة منهما ومبنية عليهما، فهي علىٰ بصيرة من أمرها وتدعو إلىٰ الله علىٰ بصيرة متبعة في ذلك هدي نبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف:١٠٨].

إن رئاسة الشؤون الدينية بالمسجد الحرام والمسجد النبوي تجدد رسالة الحرمين الشريفين من نشر الإسلام بصورته الصافية النقية وقِيَمِه القَيِّمَة السَّنِيَّة جامعة بين التمسك بالقيم والمبادئ، والحرص علىٰ تطوير الأدوات والوسائل، وتحديث المحاور والمرافق، والمضي قُدُمًا في نشر قيم الإسلام وخدمة زوار بلد الله الحرام ومدينة النبي عليه الصلاة والسلام حتىٰ يتأتىٰ لهم تأدية المناسك بكل يسر وسهولة، وينهلوا من معين الوحيين أثناء زيارتهم للحرمين الشريفين، راجين من الله تعالىٰ لنا ولهم الإخلاص والقبول، وحصول المرجو والمأمول، إنه سميع عليم.

والحمد لله رب العالمين

الأُسْتَاذ الدُّكْتُور

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ السُّدَيْس

رَئِيس الشُّؤُون الدِّينِيَّة بِالمَسْجِدِ الحَرَام وَالمَسْجِدِ النَّبَوِيّ

إمام وَخَطِيب المَسْجِدِ الحَرَام

القيمة الأولى
تَعظيمُ الحَرمَينِ

إنَّ مِن أبرزِ صفاتِ المؤمنِ الصَّادقِ، والمُحبِّ المُوافِقِ، ومِن علاماتِ امتِلاءِ قلبِه بتقوَىٰ اللهِ وخشيتِه، وتعظيمِه ومَحبَّتِه: تعظيمَ ما عظَّمهُ اللهُ مِن الشَّعائرِ والحُرُماتِ، والمَناسِكِ وأماكنِ العِباداتِ، قالَ تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ۖ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢].

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُوسَىٰ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الوُقُوفُ بِعَرَفَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ، وَبجَمْعٍ[1] مِنْ شَعَائِرِ اللهِ، وَالبُدْنُ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ، وَالحَلْقُ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ، وَالرَّمْيُ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ، فَمَنْ يُعَظِّمْهَا فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَىٰ القُلُوبِ»[2].

وفي تعظيمِها خيرٌ عظيمٌ للمُسلمِ في الدُّنيا والآخِرةِ، قالَ تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ۖ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج:٣٠].

(١) جمع: هي المُزْدَلفة.
(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٢٧٥)، والطبري في التفسير (١٦/ ٥٤١).

قَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ صَفَايَا مِنْ خَلْقِهِ: اصْطَفَىٰ مِنَ المَلَائِكَةِ رُسُلًا، وَمِنَ النَّاسِ رُسُلًا، وَاصْطَفَىٰ مِنَ الكَلَامِ ذِكْرَهُ، وَاصْطَفَىٰ مِنَ الأَرْضِ المَسَاجِدَ، وَاصْطَفَىٰ مِنَ الشُّهُورِ رَمَضَانَ وَالأَشْهُرَ الحُرُمَ، وَاصْطَفَىٰ مِنَ الأَيَّامِ يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَاصْطَفَىٰ مِنَ اللَّيَالِي لَيْلَةَ القَدْرِ، فَعَظِّمُوا مَا عَظَّمَ اللهُ، فَإِنَّمَا تُعَظَّمُ الأُمُورُ بِمَا عَظَّمَهَا اللهُ عِنْدَ أَهْلِ الفَهْمِ وَأَهْلِ العَقْلِ»[1].

ومِن أعظمِ شعائرِ اللهِ الَّتي يجبُ تعظيمُها واحترامُها: الكَعبةُ المُشرَّفةُ، والحَرمُ، ومكَّةُ المُكرَّمةُ.

عَنْ عَيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ المَخْزُومِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَزَالُ هَذِهِ الأُمَّةُ بِخَيْرٍ مَا عَظَّمُوا هَذِهِ الحُرْمَةَ حَقَّ تَعْظِيمِهَا، فَإِذَا ضَيَّعُوا ذَلِكَ هَلَكُوا**»[2].

وقالَ طَارِقُ بْنُ أَحْمَرَ[3]: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ إِذْ جَاءَهُ

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٤٤٤).

(٢) رواه ابن ماجه (٣١١٠)، وأحمد (١٩٠٤٩)، وحسنه الحافظ في الفتح (٣/ ٤٤٩)، وفي إسناده ضعف.

(٣) ذكره البخاري في التاريخ الكبير (٤/ ٣٥٣)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٤/ ٤٨٦)، من رواية عبد الكريم الجزري عنه، ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلًا، وذكره ابن حبان في الثقات (٤/ ٣٩٥). =

رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَيُّ الشَّعَائِرِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «أَوَ فِي شَكٍّ أَنْتَ مِنْهُ؟ هَذَا أَعْظَمُ الشَّعَائِرِ»، يَعْنِي: البَيْتَ[1].

وعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمَكَّةَ: «**مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ! وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ**»[2].

وكيفَ لا تُعَظَّمُ وهي قِبْلةُ المسلمينَ، ومَهْوَىٰ أفئدةِ المُؤمنينَ، ومَركزُ انتِماءِ المُحبِّينَ الصَّادقينَ، ومَحَطُّ آمال الرَّاجِينَ المُؤمِّلينَ، وإليها يحِنُّ كلُّ مُشتاقٍ، ويَقدمُ المُحبُّونَ إليها من جميعِ الآفاقِ؟

والمَسجدُ الحرامُ: هو أَولَىٰ المساجدِ بالتَّعظيمِ والاحترامِ، فهو أوَّلُ بيوتِ اللهِ، قالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٦].

= وقال الدوري: سَأَلت يحيىٰ عَن حَدِيث رَوَاهُ عبيد الله بن عَمْرو الرقي، عَن عبد الكَرِيم، عَن طَارق بن أَحْمَر، قَالَ: «كنت عِنْد ابن عمر»، فَلم يُنكره يحيىٰ وعرفه. تاريخ ابن معين - رواية الدوري (٤/ ٤٨٥).

(١) تفسير يحيىٰ بن سلام (١/ ٣٧١).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٩٢٦) وصححه، وأحمد (٣٧٠٩)، والحاكم (١٧٨٧) وصححه.

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ أَوَّلَ؟ قَالَ: «**المَسْجِدُ الحَرَامُ**»(١).

وقالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هُوَ أَوَّلُ مَسْجِدٍ عُبِدَ اللهُ فِيهِ فِي الأَرْضِ»(٢).

وهو أحبُّ المساجدِ إلىٰ اللهِ، وأكرمُها عليهِ، وأعظمُها عندَه قَدْرًا، وهو البيتُ العَتِيقُ الَّذي أَعْتقَه اللهُ منَ الجَبابرةِ، ولا يُريدُه أحدٌ بسُوءٍ إلَّا هَلكَ.

وذَكَرَ الزُّهْرِيُّ، أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قَالَ**: «إِنَّمَا سُمِّيَ البَيْتُ العَتِيقُ؛ لأَنَّ اللهَ أَعْتَقَهُ مِنَ الجَبَابِرَةِ»(٣)، وصَحَّ ذلك أيضًا **عن مُجَاهِدٍ**(٤)، **وعَنْ قَتَادَةَ**(٥).

ومِن شرفِه: أنَّ الَّذي تولَّىٰ بناءَه نبيَّانِ كريمانِ، قالَ تعالىٰ:

---

(١) رواه البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠).
(٢) رواه الأزرقي في أخبار مكة (٢/ ٦٤)، والطبري في التفسير (٥/ ٥٩٠).
(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٤٠٥)، والطبري في تفسيره (١٦/ ٥٢٩).
(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٤٠٥)، والطبري في تفسيره (١٦/ ٥٣٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٩٠).
(٥) رواه ابن وهب في تفسير القرآن من الجامع (٢/ ٨٣)، والطبري في تفسيره (١٦/ ٥٣٠).

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧].

وأَمرَ اللهُ نبيَّيْهِ الكَريمينِ بتطهيرِ بيتِه للعابدِينَ والزَّائرينَ، فقالَ تعالىٰ: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة:١٢٥].

أيْ: تطهيره مِن الشِّركِ والكُفرِ والمَعاصِي، ومِن الرِّجْسِ، والنَّجاساتِ، والأَقذارِ.

عَنْ مُجَاهِدٍ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: «﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾: أَنَّ ذَلكَ مِنَ الأَوْثَانِ وَالرِّيَبِ، وَقَوْلِ الزُّورِ والرِّجْسِ».

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: «طَهِّرَا بَيْتِيَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِنَ الشِّرْكِ».

قالَ ابنُ أَبي حَاتِمٍ: «وَرُوِيَ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، وَأَبِي العَالِيَةِ، وَقَتَادَةَ، وَمُجَاهِدٍ، وَعَطَاءٍ، نَحْوُهُ»(١).

وهوَ قِيامُ دِينِ النَّاسِ ودُنياهُم، ومَعقِدُ مصالحِهم في أُولاهُم وأُخراهم، قالَ تعالىٰ: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧].

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٢٧، ٢٢٦).

أيْ: «يقومُ بالقِيامِ بتعظيمِه دِينُهم ودُنياهُم، فبذلكَ يتِمُّ إسلامُهم، وبه تُحَطُّ أوزارُهم، وتحصُل لهم بقصدِه العَطايا الجَزيلةِ، والإحسانُ الكَثيرُ، ويجتمعُ فيه جميعُ أجناسِ المُسلمينَ، فيتَعارفُونَ، وتنعقِدُ بينَهم الرَّوابطُ في مصالحِهم الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ»(١).

وعَنْ عَليِّ بنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ﴾ [المائدة: ٩٧] «يَعْنِي: قِيَامًا لدِينِهِمْ، وَمَعَالِمَ لحَجِّهِمْ»(٢).

وعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: «﴿قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾: تَعْظِيمُهُمْ إِيَّاهَا، ﴿وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾: تَعْظِيمُهُمْ إِيَّاهُ»(٣).

وعَنِ السُّدِّيِّ: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ﴾ قال: «جَعَلَ اللهُ هَذِهِ الأَرْبَعَةَ قِيَامًا للنَّاسِ، هِيَ قِوَامُ أَمْرِهِمْ»(٤).

قالَ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القِوَامَ للشَّيْءِ: هُوَ الَّذِي بِهِ صَلَاحُهُ، كَالمَلِكِ الأَعْظَمِ قِوَامُ رَعِيَّتِهِ وَمَنْ فِي سُلْطَانِهِ؛ لأَنَّهُ مُدَبِّرُ أَمْرِهِمْ،

(١) تفسير السعدي (ص٢٤٤).
(٢) تفسير الطبري (٩/ ٨)، تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢١٤).
(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢١٥).
(٤) تفسير الطبري (٩/ ٩)، تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢١٤).

وَحَاجِزُ ظَالِمِهِمْ عَنْ مَظْلُومِهِمْ، وَالدَّافِعُ عَنْهُمْ مَكْرُوهَ مَنْ بَغَاهُمْ وَعَادَاهُمْ، وَكَذَلِكَ كَانَتِ الكَعْبَةُ وَالشَّهْرُ الحَرَامُ وَالهَدْيُ وَالقَلَائِدُ قِوَامَ أَمْرِ العَرَبِ الَّذِي كَانَ بِهِ صَلَاحُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَهِيَ فِي الإِسْلَامِ لأَهْلِهِ مَعَالِمَ حَجِّهِمْ وَمَنَاسِكِهِمْ، وَمُتَوَجَّهِهِمْ لِصَلَاتِهِمْ، وَقِبْلَتِهِمُ الَّتِي بِاسْتِقْبَالِهَا يَتِمُّ فَرْضُهُمْ»[1].

وقدْ دَعا إبراهيمُ خليلُ اللهِ لهذا البَلدِ الأَمينِ وأَهله الطَّيِّبينَ، فقالَ: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم:٣٧].

عنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، **قالَ** «لوْ أَنَّ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حينَ دَعا قَالَ: «اجعلْ أفئِدةَ النَّاسِ تَهوِي إليهِم» لازدَحمَتْ عليهِ اليَهودُ والنَّصارَىٰ، ولكنَّه خصَّ حينَ قَالَ: ﴿أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾، فجعلَ ذَلكَ أفئِدةَ المُؤمِنينَ».

وجاءَ نحوُه عنْ سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ، ومُجاهِدِ بنِ جَبْرٍ[2].

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٩).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٣/ ٧٠٠)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٥٠)، تفسير الثعلبي (١٥/ ٤٠٣)، شعب الإيمان (٥/ ٤٥٦)، التفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٣٤)، زاد المسير (٢/ ٥١٦)، تفسير القرطبي (٩/ ٣٧٣)، تفسير ابن كثير (٤/ ٥١٤).

فمَا زالَ المُؤمنُونَ يحِنُّونَ إليها مِن جميعِ الأَرجاءِ، ويأْتُونَ إليها من سائرِ الأَنحاءِ؛ ليَرْوُوا منها ظَمَأَ قلوبِهم، ويصيرَ حَرمُ اللهِ مِلْءَ جُفونِهم، وقُرَّةَ عُيونِهم.

قالَ تعالىٰ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة:١٢٥].

«أَيْ: يَثُوبُونَ إِلَيْهِ عَلَىٰ تَعَاقُبِ الأَعْوَامِ مِنْ جَمِيعِ الأَقْطَارِ، وَلَا يَقْضُونَ مِنْهُ وَطَرًا، بَلْ كُلَّمَا ازْدَادُوا لَهُ زِيَارَةً ازْدَادُوا لَهُ اشْتِيَاقًا»[(١)].

قالَ عَطَاءٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾، قَالَ: «يَثُوبُونَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، وَلَا يَقْضُونَ مِنْهُ وَطَرًا»[(٢)].

وقالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: «يَحُجُّونَ، ثُمَّ يَحُجُّونَ، لَا يَقْضُونَ مِنْهُ وَطَرًا»[(٣)].

وقالَ مُجَاهِدُ بنُ جَبْرٍ: «يَثُوبُونَ إليهِ، لا يَقْضُونَ منهُ وَطَرًا»[(٤)].

---

(١) زاد المعاد (١/ ٥٢).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٤٤٥)، تفسير الطبري (٢/ ٥١٩).

(٣) تفسير عبد الرزاق (١/ ٢٩٢)، تفسير الطبري (٢/ ٥٢٠).

(٤) تفسير عبد الرزاق (١/ ٢٩١)، تفسير الطبري (٢/ ٥١٨)، سنن البيهقي (٩٨٣١).

وفي لفظٍ: «يَثُوبُونَ إِلَيْهِ، وَيَذْهَبُونَ وَيَرْجِعُونَ، لَا يَقْضُونَ مِنْهُ وَطَرًا»[1].

وقالَ ابنُ زَيْدٍ: «يَثُوبُونَ إليهِ مِنَ البُلْدانِ كُلِّها ويَأْتُونَه»[2].

وعنْ عَبْدَةَ بْنِ أَبِي لُبَابَةَ، قَالَ: «لَا يَنْصَرِفُ عَنْهُ مُنْصَرَفٌ وَهُوَ يَرَىٰ أَنَّهُ قَدْ قَضَىٰ مِنْهُ وَطَرًا»[3].

«وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لهَذَا البَيْتِ شَرَفٌ إِلَّا إِضَافَةُ اللهِ تَعَالَىٰ إِيَّاهُ إِلَىٰ نَفْسِهِ، بِقَوْلِهِ: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [الحج:٢٦]، لَكَفَىٰ بِهَذِهِ الإِضَافَةِ فَضْلًا وَشَرَفًا، وَهَذِهِ الإِضَافَةُ هِيَ الَّتِي أَقْبَلَتْ بِقُلُوبِ العَالَمِينَ إِلَيْهِ، وَسَلَبَتْ نُفُوسَهُمْ حُبًّا لَهُ، وَشَوْقًا إِلَىٰ رُؤْيَتِهِ، فَهُوَ المَثَابَةُ لِلْمُحِبِّينَ، يَثُوبُونَ إِلَيْهِ وَلا يَقْضُونَ مِنْهُ وَطَرًا أَبَدًا، كُلَّمَا ازْدَادُوا لَهُ زِيَارَةً، ازْدَادُوا لَهُ حُبًّا وَإِلَيْهِ اشْتِيَاقًا، فَلا الوِصَالُ يَشْفِيهِمْ، وَلا البِعَادُ يُسَلِّيهِمْ، كَمَا قِيلَ:

(١) سنن البيهقي (٩٨٣٠).
(٢) تفسير الطبري (٢/ ٥٢٠).
(٣) تفسير الطبري (٢/ ٥١٩).

أَطُوفُ بِهِ وَالنَّفْسُ بَعْدُ مَشُــوقَةٌ
إِلَيْهِ وَهَلْ بَعْدَ الطَّــوَافِ تَدَانِي
وَأَلْثمُ مِنْهُ الرُّكْــنَ أَطْلُبُ بَرْدَ مَا
بِقَلْبِيَ مِنْ شَــوْقٍ وَمَــنْ هَيَمَانِ
فَــوَاللهِ مَــا أَزْدَادُ إِلَّا صَبَابَــةً
وَلا القَلْبُ إِلَّا كَثْرَةَ الخَفَقَانِ»[1]

وقدْ جعلَ اللهُ البيتَ الحرامَ ﴿مُبَـارَكًا وَهُـدًى لِّلْعَلَـمِينَ﴾ [آل عمـران: ٩٦].

فبركاتُه لا تُحصَىٰ: مِن مُضاعفةِ الثَّوابِ فيه، وتَأْمينِ أهله، وتَيْسيرِ أرزاقِهم، واستِيعابِه لملايينِ الزَّائِرينَ، مِن الحُجَّاجِ والمُعتمِرينَ، وتَيْسيرِ أُمورِهم، ورفاهيتِهم في أَداءِ مناسكِهم.

والبيتُ الحَرامُ مَنارُ هدايةٍ للعالَمينَ؛ لأنَّه بُنِيَ علىٰ توحيدِ اللهِ، والعباداتُ فيه من الطَّوافِ والصَّلاةِ، والحجِّ والعُمرةِ، هي لتوحيدِ اللهِ، والإسلامِ له، وذِكْرِه وتَعظيمِه.

فمَن تأمَّلَ هذه المشاعِرَ العظيمةَ، اهتدَىٰ، وزالَتْ عنهُ كلُّ رِيبَةٍ.

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٤٦) بتصرف يسير.

وقالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ: «﴿مُبَارَكًا﴾: جَعَلْنَاهُ آمِنًا، وَجَعَلَ فِيهِ الخَيْرَ وَالبَرَكَة، ﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾، يعني بالهُدَىٰ: قِبْلَتَهُم»[1].

والحَرَمُ ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ﴾.

«أَيْ: دَلالاتٌ ظَاهِرَةٌ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ عَظَّمَه وَشَرَّفَهُ»[2].

والمسجدُ الحَرامُ: هو مَهْدُ دعوةِ التَّوحيدِ، ومَحْوِ الشِّركِ والتَّنديدِ، فقدْ بُنِيَ البيتُ الحرامُ يومَ بُنِيَ علىٰ التَّوحيدِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾ [الحج:٢٦].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صَلَاةٌ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ**»[3].

ومِن آياتِه البيِّناتِ:

الحَجرُ الأسودُ: وهو الحَجرُ المنصوبُ في الرُّكنِ الجَنوبِيِّ الشَّرقيِّ للكَعبةِ المُشرَّفةِ، في غطاءٍ مِنَ الفضَّةِ، وهو مَبدأُ الطَّوافِ.

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧١٠).
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٧٩).
(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (١٤٠٦)، وأحمد (١٥٢٧١).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الحَجَرِ: «**وَاللهِ لَيَبْعَثَنَّهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ، يَشْهَدُ عَلَىٰ مَنِ اسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ**»(١).

والرُّكنُ اليَمانيُّ: وهو ركنُ الكَعبةِ المُشرَّفةِ الجنوبيُّ الغَربيّ، ويُوازِي الرُّكنَ الجنوبيَّ الشَّرقيَّ الَّذي يوجدُ بِهِ الحجرُ الأسودُ، والرُّكنُ اليمانيُّ منسوبٌ إلىٰ اليَمنِ؛ لأنَّهُ يَقعُ في جِهَتِها.

عنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ عنِ الرُّكنيْنِ: «**إِنَّ مَسْحَهُمَا كَفَّارَةٌ لِلْخَطَايَا**»(٢).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ السَّائِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فيمَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ: «**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**»(٣).

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٩٦١) وحسنه، وابن ماجه (٢٩٤٤)، وأحمد (٢٢١٥)، وابن حبان (٣٧١٢).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٩٥٩) وحسنه، والنسائي (٢٩١٩)، وأحمد (٥٧٠١)، وابن حبان (٣٦٩٨).

(٣) حسن: رواه أبو داود (١٨٩٢)، والنسائي في الكبرىٰ (٣٩٢٠)، وأحمد (١٥٣٩٨)، وابن خزيمة (٢٧٢١)، وابن حبان (٣٨٢٦)، والحاكم (١٦٧٣).

ومقامُ إبراهيمَ: وهو الحَجَرُ الَّذِي كَانَ يَقِفُ عَلَيْهِ إبراهيمُ الخليلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمًا لَمَّا ارْتَفَعَ البِنَاءُ عَنْ قَامَتِهِ، فَوَضَعَ لَهُ وَلَدُهُ إسماعيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا الحَجَرَ المَشْهُورَ ليَرْتَفِعَ عَلَيْهِ لَمَّا تَعَالَىٰ البِنَاءُ.

قالَ تَعالىٰ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقالَ تَعالىٰ: ﴿فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

والمُلتَزَمُ: وهو ما بينَ الحجرِ الأسودِ وبابِ الكَعبةِ، وقَدرُهُ نَحو أربعَة أذرُعٍ.

وقالَ مُجَاهِدٌ: «كَانُوا يَلْتَزِمُونَ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالبَابِ وَيَدْعُونَ»(١).

وقالَ شَيخُ الإسْلامِ ابنُ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَأْتِيَ المُلْتَزَمَ -وَهُوَ مَا بَيْنَ الحَجَرِ الأَسْوَدِ وَالبَابِ- فَيَضَعَ عَلَيْهِ صَدْرَهُ وَوَجْهَهُ وَذِرَاعَيْهِ وَكَفَّيْهِ وَيَدْعُوَ وَيَسْأَلَ اللهَ تَعَالَىٰ حَاجَتَهُ

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٢٣٦)،

فَعَلَ ذَلكَ، وَلَهُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلكَ قَبْلَ طَوَافِ الوَدَاعِ؛ فَإِنَّ هَذَا الالتِزَامَ لَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ حَالَ الوَدَاعِ أَوْ غَيْرِهِ، وَالصَّحَابَةُ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلكَ حِينَ يَدْخُلُونَ مَكَّةَ»[1].

والحِجْرُ: وهو بناءٌ علىٰ شكل نصفِ دائرةٍ شمالَ الكعبةِ، يقعُ بينَ الرُّكنِ الشَّاميِّ والعِراقيِّ، وهو مِنَ الكَعبةِ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ أَدْخُلَ البَيْتَ فَأُصَلِّيَ فِيهِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِي، فَأَدْخَلَنِي فِي الحِجْرِ، فَقَالَ لي: «**صَلِّي فِي الحِجْرِ إِذَا أَرَدْتِ دُخُولَ البَيْتِ، فَإِنَّمَا هُوَ قِطْعَةٌ مِنَ البَيْتِ**»[2].

وعلَيهِ: فلا يجوزُ للطَّائفِ بالبَيتِ في حجٍّ أو عُمرةٍ أو طوافِ نَفلٍ أنْ يطوفَ داخلَ الحِجرِ، ولا يُجزئُه ذلكَ لو فَعلَه؛ لأنَّ الطَّوافَ بالبَيتِ، والحِجرُ مِنَ البَيتِ.

قالَ عَطَاءٌ، فِي رَجُلٍ طَافَ فَكَانَ مِنْ طَوَافِهِ دُخُولًا فِي الحِجْرِ قَالَ: «لَا يعْتَدُّ بِمَا كَانَ مِنْ دُخُول الحِجْرِ»[3].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٦/ ١٤٢)

(٢) صحيح لغيره: رواه أبو داود (٢٠٢٨)، والترمذي (٨٧٦) وصححه، والنسائي (٢٩١١)، وأحمد (٢٤٦١٦)، والطيالسي (١٦٦٦).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٢٥٢).

والصَّفا والمروَةُ: وهُما جبلانِ مُتقابلانِ مَعروفانِ بمكَّةَ، والمسافةُ بَينَهُما ٣٩٤ مترًا، وبَينَهُما يكونُ السَّعيُ في الحجِّ والعُمرةِ، بدايةً بالصَّفا، وانتهاءً بالمَروَةِ.

قالَ تَعالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨].

وماءُ زَمزمَ: وهو خيرُ ماءٍ علىٰ وجهِ الأرضِ، وعنْ أبِي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ في زَمزمَ: «**إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ**»(١).

وقالَ مُجَاهِدٌ: «زَمْزَمُ لمَا شُرِبَتْ لَهُ، إِنْ شَرِبْتَهُ تُرِيدُ الشِّفَاءَ شَفَاكَ اللهُ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ تُرِيدُ أَنْ يَقْطَعَ ظَمَأَكَ قَطَعَهُ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ تُرِيدُ أَنْ تُشْبِعَكَ أَشْبَعَتْكَ، هِيَ هَزْمَةُ جِبْرِيلَ(٢)، وَسُقْيَا اللهِ إِسْمَاعِيلَ»(٣).

وقدِ انطلَقَت دعوةُ التَّوحيدِ مِن البلدِ الحَرامِ منذُ بَعْثةِ النَّبيِّ

(١) رواه مسلم (٢٤٧٣).
(٢) أَيْ: ضَرَبَها برِجْله فَنَبَعَ الماءُ. النهاية (٥/ ٢٦٣).
(٣) مصنف عبد الرزاق (٥/ ١١٨)، أخبار مكة للأزرقي (٢/ ٥٠).

عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ، حتَّىٰ عمَّتْ كلَّ مكانٍ، قال تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام:٩٢].

«و﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾، يعني: مَكَّةَ، ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ مِن أحياءِ العَربِ، ومِن سائرِ طَوائفِ بني آدمَ من عربٍ وعَجمٍ، كما قالَ في الآيةِ الأُخرَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقالَ: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]»[1].

وما زالَتْ رايةُ التَّوحيدِ تُرفرِفُ عاليةً خفَّاقةً فوقَ البلدِ الحَرامِ، وفوقَ كلِّ رُبُوعِ المَملكةِ العربيَّةِ السُّعوديَّةِ، ويشعُّ نورُ التَّوحيدِ مِن هذهِ البِلادِ المُباركةِ إلىٰ بقاعِ الأرضِ.

ومَسجدُ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **هو ثاني الحَرمَينِ الشَّريفَينِ، وقُرَّةُ القَلبِ والعَيْنَينِ**؛ فهُناكَ أشرقَ نُورُ الإيمانِ، وتمَّ نزولُ القُرآنِ، وهُناكَ عاشَ نبيُّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وماتَ، بعدَ أن بلَّغَ الرِّسالةَ وأدَّىٰ الأَمانةَ ونصحَ الأُمَّةَ، ونحنُ علَىٰ ذلكَ مِنَ الشَّاهِدينَ.

والمسجدُ النَّبوِيُّ هو أوَّلُ مَسجدٍ أُسِّسَ علىٰ التَّقوَىٰ، قالَ

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٠١).

تَعالَىٰ عن مسجدِ الضِّرارِ الَّذي أُسِّسَ علىٰ الكُفرِ والنِّفاقِ ومُحارَبةِ اللهِ ورَسوله: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٨]، ثمَّ قالَ تعالىٰ: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

عَنِ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ المَسْجِدَيْنِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ؟ قَالَ: فَأَخَذَ كَفًّا مِنْ حَصْبَاءَ، فَضَرَبَ بِهِ الأَرْضَ، ثُمَّ قَالَ: «**هُوَ مَسْجِدُكُمْ هَذَا**»، لمَسْجِدِ المَدِينَةِ[1].

وفي رواية: «**هُوَ مَسْجِدِي هَذَا**»[2].

وهذا الفضلُ يَشمَلُ مَسجدَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومَسجِدَ قُباءٍ.

قالَ شَيخُ الإسْلامِ ابنُ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هُوَ مَسْجِدِي هَذَا**»، يُرِيدُ أَنَّهُ أَكْمَلُ فِي هَذَا الوَصْفِ مِنْ مَسْجِدِ قُبَاء وَمَسْجِدُ قُبَاء أَيْضًا أُسِّسَ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ وَبِسَبَبِهِ نَزَلَتْ الآيَةُ.

فَأَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا يَظُنَّ ظَانٌّ أَنَّ ذَاكَ هُوَ الَّذِي أُسِّسَ

(١) رواه مسلم (١٣٩٨).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٠٩٩) وصححه، والنسائي (٦٩٧)، وأحمد (١١٨٤٦).

عَلَىٰ التَّقْوَىٰ دُونَ مَسْجِدِهِ فَذَكَرَ أَنَّ مَسْجِدَهُ أَحَقُّ بِأَنْ يَكُونَ هُوَ المُؤَسَّسَ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ فَقَوْلُهُ: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ يَتَنَاوَلُ مَسْجِدَهُ وَمَسْجِدَ قُبَاء، وَيَتَنَاوَلُ كُلَّ مَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ، بِخِلَافِ مَسَاجِدِ الضِّرَارِ»[1].

والصلاةُ في المسجد النبويّ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِن المساجدِ، إِلَّا المَسْجِدَ الحَرَامَ:

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا المَسْجِدَ الحَرَامَ**»[2].

وهو أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها؛ لعظيم فضلها، ومكانتها عند الله تعالىٰ:

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَىٰ ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَمَسْجِدِ الأَقْصَىٰ**»[3].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٧/ ٤٦٨، ٤٦٩).
(٢) رَواهُ البُخارِيُّ (١١٩٠)، وَمُسلمٌ (١٣٩٤).
(٣) رَواهُ البُخارِيُّ (١١٨٩)، وَمُسلمٌ (١٣٩٧).

وفيه الروضة الشريفة: وهي بقعة مباركة، رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّة؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدٍ المَازِنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ**». رَواهُ البُخارِيُّ (١١٩٥)، وَمُسلمٌ (١٣٩٠).

ومسجد قباء مَسْجِدٌ شَرِيفٌ فَاضِلٌ، كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأتيه ويصلي فيه.

فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِي مَسْجِدَ قُبَاءٍ كُلَّ سَبْتٍ، مَاشِيًا وَرَاكِبًا» وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «يَفْعَلُهُ»[1].

وفي رواية: «فَيُصَلِّي فِيهِ رَكْعَتَيْنِ»[2].

وعن سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ خَرَجَ حَتَّىٰ يَأْتِيَ هَذَا المَسْجِدَ -مَسْجِدَ قُبَاءَ- فَصَلَّىٰ فِيهِ، كَانَ لَهُ عَدْلَ عُمْرَةٍ**»[3].

---

(١) رَواهُ البُخارِيُّ (١١٩٣)، وَمُسلمٌ (١٣٩٩).

(٢) رَواهُ البُخارِيُّ (١١٩٤)، وَمُسلمٌ (١٣٩٩).

(٣) صحيح بشواهده: رواه النسائي (٦٩٩)، وأحمد (١٥٩٨١)، والحاكم (٤٢٧٩) وصححه، ووافقه الذهبي.

وحُبُّ المُؤمنِينَ للمَسجدِ النَّبويِّ الشَّريفِ وللمدينةِ النَّبويَّةِ نابعٌ مِن حُبِّهم لنبيِّهم ﷺ، واشتِياقِهم لرُؤْيتِه.

وقدْ قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لي حُبًّا، نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ**»(١).

وما أنْ يحطُّوا رِحالَهم في المدينةِ النَّبويَّةِ إلَّا ويُسرِعونَ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانًا إلىٰ المَسجدِ النَّبويِّ؛ ليَرْوُوا شَوْقَهم، ويقضُوا منهُ وَطَرَهُم.

فالمُؤمنُ الصَّادقُ دائمُ الشَّوقِ إلىٰ الحَرمينِ الشَّريفينِ، فقدِ امتلأَ قبلُه بتعظِيمِهما واحترامِهما والشَّوق والَحنينِ إليهِما، إذا رأَىٰ علىٰ الشَّاشةِ الكَعبةَ المُشرَّفةَ وحولَها الطَّائِفُونَ، وإذا رأَىٰ الصَّفا والمَروةَ يسعَىٰ بينَهما الحُجَّاجُ والمُعتمِرُونَ، وإذا رأَىٰ الرَّوضةَ الشَّريفةَ يُصلِّي فيها العابِدُونَ، إذا رأَىٰ تلكَ المشاهدَ العِظامَ حنَّ قلبُه ودَمعَتْ عيناهُ، وسألَ اللهَ أنْ يُيسِّرَ له الذَّهابَ معَ الذَّاهِبينَ، والطَّوافَ معَ الطَّائِفينَ.

ولرُبَّما ظلَّ أحدُهم يدَّخِرُ المالَ، ويجمعُ القليلَ إلىٰ القليل

(١) رواه مسلم (٢٨٣٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

في الزَّمنِ المُمتدِّ الطَّويل، حتَّىٰ يُيسِّرَ اللهُ له الحجَّ أو العُمرةَ والزِّيارةَ، وهو يعلمُ أنَّ التِّجارةَ معَ اللهِ هيَ أربحُ تجارةٍ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا فِي عُمْرَتِهَا: «**إِنَّ لَكِ مِنَ الأَجْرِ عَلَىٰ قَدْرِ نَصَبِكِ وَنَفَقَتِكِ**»(١).

ويحرصُ الحاجُّ والمُعتمِرُ والزَّائرُ علىٰ تعلُّمِ مَناسِكِ الحجِّ والعُمرةِ وآدابِ الزِّيارةِ؛ ليقعَ عملُه مَقبُولًا عندَ اللهِ؛ فإنَّ العَملَ لا يُقْبَلُ إلَّا إذا كانَ خالصًا للهِ، مُوافقًا لسُنَّةِ رسول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

قالَ ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَانِ رُكْنَا العَمَلِ المُتَقَبَّلِ، لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ خَالصًا للهِ، صَوابًا عَلَىٰ شَرِيعَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(٢).

إِلَيْــكَ، وَإِلَّا لا تُشَــدُّ الرَّكَائِبُ

وَمِنْــكَ، وَإِلَّا فَالمُؤَمِّلُ خَائِبُ

---

(١) رواه الحاكم (١٧٣٣) وصححه، وهو في الصحيحين، ولفظه -واللفظ للبخاري-: عن عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: يَا رَسُولَ اللهِ، يَصْدُرُ النَّاسُ بِنُسُكَيْنِ، وَأَصْدُرُ بِنُسُكٍ! فَقِيلَ لَهَا: «انْتَظِرِي، فَإِذَا طَهُرْتِ، فَاخْرُجِي إِلَىٰ التَّنْعِيمِ، فَأَهِلِّي ثُمَّ ائْتِينَا بِمَكَانِ كَذَا، وَلَكِنَّهَا عَلَىٰ قَدْرِ نَفَقَتِكِ أَوْ نَصَبِكِ».

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٠٥).

وَفِيــكَ، وَإِلَّا فَالرَّجَــاءُ مُضَيَّعٌ
وَعَنْكَ، وَإِلَّا فَالمُحَدِّثُ كَاذِبُ

قِيَــمٌ لَنَا سَــبْعٌ: فَــأَوَّلُ قِيمَةٍ:
تَعْظِيمُنَــا لشَــعَائِرِ الرَّحْمَــنِ

وَالمَسْجِدَيْنِ النَّيِّرَيْنِ، فَبِالهُدَىٰ
وَمَعَالــمِ التَّوْحِيــدِ يَأْتَلقَــانِ

عُمِرَتْ بِحُبِّهِمَا القُلُوبُ فَفِيهِمَا
زَيْنُ الوَقَــارِ وَحِلْيَــةُ الإِيمَانِ

القيمة الثانية
إِتْقانُ العَملِ

الإِتْقانُ: هو الإِحْكامُ للأَشياءِ، وأَتْقَنَ عمَله، أي: أَحْكَمَه[1].

والعملُ المُتْقَنُ هو المُحْكَمُ من كلِّ وجهٍ، بحيثُ يخلُو مِنَ الخَلَل، وبحيثُ يُؤتِي ثمارَه علىٰ أكمل وجهٍ.

إنَّ الإِتقانَ سِمَةٌ أساسِيَّةٌ في المُسلمِ، ومَبدأٌ ثابتٌ له، يدلُّ علىٰ صدقِ إيمانِه، وتمامِ إحسانِه، بلْ هوَ صفةٌ أساسيَّةٌ في دينِ الإسلامِ، وما اشتَملَ عليهِ من شرائعَ وأحكامٍ.

فالمُسلمُ مُطالَبٌ بالإتقانِ في كلِّ عملٍ: تعبُّدِيٍّ، أو سُلُوكِيٍّ، أو مَعَاشِيٍّ دُنيويٍّ، أو أُخرَويٍّ.

ودلائلُ الشَّرعِ تدلُّ علىٰ أنَّ الإتقانَ مَطْلَبٌ شرعيٌّ:

فاللهُ تعالىٰ قدْ أَتقَنَ خلقَ كلِّ شيءٍ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَتَرَى

(١) ينظر: مجمل اللغة (ص: ١٤٩)، المحكم (٦/ ٣٣٩)، لسان العرب (١٣/ ٧٣)، القاموس المحيط (ص: ١١٨٣).

ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل:٨٨].

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «﴿أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ يَقُولُ: أَحْكَمَ كُلَّ شيْءٍ»(١).

قالَ ابنُ أَبي حَاتِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَرُوِيَ عَنِ الحَسَنِ، وَعَطَاءٍ الخُرَاسَانِيِّ، وَالثَّوْرِيِّ، مِثْلُ ذَلكَ».

وقالَ الزَّجَّاجُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «"حَكِيمٌ" بِمَعْنىٰ: مُحْكِمٌ، وَاللهُ تَعَالَىٰ مُحكِمٌ للأشياءِ مُتقِنٌ لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾»(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة:٧].

عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾، قَالَ: «أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ»(٣).

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ١٣٨)، تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٣٣).
(٢) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٥٢).
(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٥٩٨).

وقال تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ [الفرقان: ٢].

«أَيْ: خَلَقَهُ مُقَدَّرًا، أَيْ: مُحْكَمًا مَضْبُوطًا صَالحًا لمَا خُلقَ لأَجْلِهِ، لا تَفَاوُتَ فِيهِ وَلا خَلَلَ»(١).

وقالَ قَتَادَةُ في قَوْله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾: «مِنْ خَلْقِهِ وَصَلاحِهِ، وَجَعَلَ ذَلكَ بِقَدْرٍ مَعْلُومٍ»(٢).

اللهُ أَحْكَـــمَ خَلْـــقَ ذَلـــكَ كُلِّهِ

صُنْعًـــا، وَأَتْقَـــنَ أَيَّمَـــا إِتْقَانِ

واللهُ تعالىٰ أَتقَنَ كتابَه العزيزَ وأَحكَمَه، قال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود:١].

«أَيْ: أُتْقِنَتْ وأُحْسِنَتْ»(٣).

وقالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

---

(١) التحرير والتنوير (١٨/ ٣١٩).
(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٦٢).
(٣) تفسير السعدي (ص٣٧٦).

«والحَكِيمُ: هوَ الَّذي يُنزِلُ الأشياءَ منازلَها؛ لأنَّ الحكيمَ مأخوذٌ من الإحكامِ وهو الإتقانُ، وإتقانُ الشَّيءِ أنْ يُنزلَه مَنزلتَه»[1].

وكلُّ عملٍ -دُنيويًّا كانَ أو أُخرَويًّا- عاملُه مأمورٌ بإتقانِه، ومُرَغَّبٌ في إكماله وإحسانِه؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ مُطَّلعٌ عليه، ومُجازٍ العاملَ علىٰ حسبه، قال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [التوبة:١٠٥].

واللهُ تعالىٰ يحبُّ إتقانَ العَمل.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ**»[2].

وقالَ وُهَيْبُ بنُ الوَرْدِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ فِي كَثْرَةِ العَمَلِ، وَلَكِنْ لِيَكُنْ هَمُّهُ فِي إِحْكَامِهِ وَتَحْسِينِهِ»[3].

(١) مجموع فتاوىٰ ورسائل العثيمين (٢٦/ ٨٦).
(٢) رواه أبو يعلىٰ في مسنده (٤٣٨٦)، والطبراني في الأوسط (٨٩٧)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٢٣٣)، وفي إسناده لين.
(٣) حلية الأولياء (٨/ ١٥٣).

وقالَ ابنُ رَجبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كانَ السَّلفُ يوصُونَ بإتقانِ العَمل وتحسِينِه دُونَ مُجرَّدِ الإكْثارِ منهُ؛ فإنَّ العملَ القليلَ معَ التَّحسينِ والإتْقانِ أفضلُ مِن الكَثيرِ معَ عدمِ الإتقانِ»[1].

وإتقانُ العمل مِن الإحسانِ المأمُورِ به، فقدْ أمرَ اللهُ تعالىٰ بالإحْسانِ، وهو أمرٌ عامٌّ يشملُ تحسينَ الأَعْمال وإتقانَها، سواءٌ كانَتْ دُنيوِيَّةً أمْ أُخروِيَّةً، قالَ تعالىٰ: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥]، وقالَ تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يونس: ٢٦]، وقالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ﴾ [الذاريات:١٥-١٦].

«والإِحْسانُ (إِفْعَالٌ) مِن الحُسْنِ، ويُستَعملُ علىٰ وَجهَينِ:

أحدُهما: إحسانُ العمل وإتيانُه علىٰ وجهِ الإكْمال والإتْقانِ، كقولهم: أحسنتُ كذا وفي كذا، ومنهُ «**إنَّ اللهَ كَتبَ الإحْسانَ علَىٰ كلِّ شيءٍ**».

(١) تفسير ابن رجب (١/ ٤٢٣).

وثانِيهمَا: بمعنَىٰ الإنْعامِ علَىٰ الغَيرِ؛ كقولهم: أحسنتُ إلىٰ فُلانٍ: إذا فعلت معَه ما يَحسُنُ فعلُه.

والمرادُ ها هنا الأوَّلُ؛ إذْ حاصلُه راجعٌ إلىٰ إتقانِ العباداتِ وإتيانِها علىٰ الوجهِ الأكمل»[1].

وعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ**»[2].

وفي روايةٍ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ مُحْسِنٌ يُحِبُّ الإِحْسَانَ**»[3].

«كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ»:

قالَ بعضُ العُلماءِ: «أَيْ: كَتَبَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ»[4].

وقالَ أبو العبَّاسِ القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإحسانُ هُنا بمعنَىٰ: الإحْكامِ، والإكْمال، والتَّحسينِ في الأَعمال المَشرُوعةِ، فحقُّ

(١) لمعات التنقيح (١/ ٢٠٨).

(٢) رواه مسلم (١٩٥٥).

(٣) رواه عبد الرزاق في المصنف (٤/ ٤٩٢)، ومن طريقه رواه الطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٢٧٥)، وأبو بكر الأنصاري في أحاديث الشيوخ (٣٠١).

(٤) ينظر: مرقاة المفاتيح (٦/ ٢٦٤٩)، حاشية السندي علىٰ ابن ماجه (٢/ ٢٨٢).

مَن شَرعَ في شيءٍ منها أنْ يأتيَ به علىٰ غايةِ كماله، ويحافظَ علىٰ آدابِه المُصحِّحةِ والمُكمِّلةِ، وإذا فعلَ ذلك قُبِلَ عملُه، وكَثُرَ ثوابُه»[1].

وقالَ الشَّيخُ ابنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني: أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ شَرعَ الإحْسانَ في كلِّ شيءٍ، عليكَ أنْ تكونَ مُحسِنًا لمَا تقومُ به»[2].

ومَن أَحسنَ في عمله أَجادَه وأَتقنَه وأَحكَمَه، وسعَىٰ في إتمامِه علىٰ الوجهِ الأكمل.

ومَن كانَ هذا دَأْبَه في أمرِه كُلِّه، يسَّرَ اللهُ له حالَه، وأتمَّ عليهِ نعمتَه، ووَفَّقَه في عمله، بخلافِ غيرِه ممَّن لا يُحسِنُ العملَ ولا يُتقِنُه، فقد يُسِيءُ فيَضْمَنُ.

قالَ النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ تَطَبَّبَ وَلَا يُعْلَمُ مِنْهُ طِبٌّ، فَهُوَ ضَامِنٌ**»[3].

وانطلاقًا مِن هذا المَبدأِ الشَّرعيِّ الحكيمِ، وهذا الأصل

(١) المفهم (٥/ ٢٤٠).

(٢) شرح رياض الصالحين (٣/ ٥٩٤).

(٣) حسن لغيره: رواه أبو داود (٤٥٨٦)، والنسائي (٤٨٣٠)، وابن ماجه (٣٤٦٦)، والحاكم (٧٤٨٤) وصححه، ووافقه الذهبي.

المَرعيِّ القَويمِ، حرصَ القائِمونَ علىٰ شُؤونِ الحَرمَينِ الشَّريفَينِ علىٰ إحكامِ العَمل وإتقانِه، وتَكمِيله وإحسانِه، في كلِّ ما يتعلَّقُ بالحَرمَينِ الشَّريفَينِ، مِن تَرسيخِ البِناياتِ، وتَوسِيعِ المِساحَاتِ، والفَرشِ والإنارةِ، والنَّظافةِ والطَّهارةِ، والتَّهويةِ والتَّكْييفِ، وكلِّ ما يُريحُ المُصلِّينَ والمُتعبِّدينَ، والطَّائِفينَ والسَّاعِينَ.

وقبلَ كلِّ هذا أَعدُّوا لهم ما يُقَوِّي إيمانَهم، ويُنِيرُ بصائِرَهم مِنَ:

الأَئمَّةِ الحُفَّاظِ المُتقِنينَ، الَّذينَ يجذِبُونَ القُلوبَ بجمال أصواتِهم، وإتْقانِ تِلاواتِهم؛ عملًا بقوله تعالىٰ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل:٤]، وبقول رَسُول اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**زَيِّنُوا القُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ**»(١).

والعُلَماءِ الرَّبَّانِيِّينَ الَّذينَ يُبَيِّنُونَ للنَّاسِ أُمورَ دِينِهم، عامِلينَ بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران:٧٩].

(١) صحيح: رواه أبو داود (١٤٦٨)، والنسائي (١٠١٥)، وابن ماجه (١٣٤٢)، وأحمد (١٨٤٩٤)، وعلقه البخاري في صحيحه (٩/ ١٥٨).

عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، **قالَ**: «﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾: حُلَمَاءَ فُقَهَاءَ، وَيُقَالُ: الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصِغَارِ العِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ»[1].

والفُقَهاءِ المُفْتِينَ الَّذينَ يُجيبُونَ عنْ أَسئِلَتِهم، ويُوَضِّحُونَ لهم ما أشكلَ عليهم، قالَ تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣].

فكلُّ شيءٍ صغيرٍ أو كبيرٍ يتعلَّقُ بالحَرمَينِ الشَّريفَينِ مُراعًىٰ فيه الإِتْقانُ والإِحْكامُ والإِحْسانُ، وإِنَّما يُعرَفُ المُتقِنُ بمُراعاةِ الأشياءِ الدَّقيقةِ والصَّغيرةِ، فلا مجالَ للفَوضَىٰ ولا العَبثيَّةِ ولا الإِهْمال.

والمَسؤُولُ إذا كانَ ناجحًا في مِهنَتِه مُتقنًا لعمله، أحبَّه النَّاسُ، وضُرِبَ به المثلُ في ذلكَ.

وإذا كانَ النَّاسِكُ يُؤَدِّي نُسُكَه بكلِّ سُهولةٍ ويُسرٍ، مُرْتَفِقًا بهذهِ المَرافِقِ المُتقَنةِ، والمجالاتِ المُحكَمةِ، فينبغِي له أنْ يسيرَ علىٰ الدَّربِ نفسِه: دربِ الإتقانِ والإحسانِ، فيُتقِنَ الشَّعائرَ،

(١) ينظر: صحيح البخاري (١/ ٢٤).

ويضبطَ المناسكَ، ولا يُفَرِّطَ في السُّننِ والمُستحبَّاتِ، فضلًا عن الأركانِ والواجباتِ، فإذا عادَ إلىٰ بلدِه سالمًا غانمًا، فلعلَّه أن يتَّخذَ مِن الإتْقانِ مَبدأً في حياتِه، بعدَ أن رأىٰ ذلكَ في الحَرمَينِ الشَّريفَينِ، ويتجنَّبَ الإهْمالَ والتَّضييعَ، ويحكيَ لأهله ما رأىٰ وعايشَ من صُنوفِ الإتْقانِ والإحْسانِ المُهِمَّيْنِ في أرضِ الحَرمَينِ الشَّريفينِ.

وَكَـــذَاكَ مِنْ قِيَـــمٍ لنَـــا: إِتْقَانُنَا
فَتَحَقُّـــقُ الأَعْمَـــالِ بِالإِتْقَـــانِ

فَالكَوْنُ حَوْلَكَ -لَوْ تُفَكِّرُ- مُتْقَنٌ
فَاسْلُكْ سَبِيلَ الحِذْقِ وَالإِحْسَانِ

وَاحْذَرْ مِنَ العَبَثِ المُضِيعِ لأَهْلِهِ
كَيْلَا تَبُـــوءَ بِحَسْـــرَةِ الخِذْلَانِ

القيمة الثالثة
حُبُّ الهِدايةِ

لقدْ خلَقَنا اللهُ لعبادتِه، قالَ سُبحانَه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

وأَمرَنا بتَوحيدِه وعِبادتِه، فقالَ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١].

وأَرسلَ لنا رسولَه ﷺ؛ ليَهدِيَ النَّاسَ إلىٰ صراطِ اللهِ، فقالَ له ربُّه مادحًا إيَّاه ومُثنيًا عليه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى:٥٢-٥٣].

وأَنزلَ لنا كِتابَه الكريمَ، النُّورَ المُبينَ، الهادِيَ إلىٰ كلِّ خيرٍ وصلاحٍ، وفوزٍ ونجاحٍ، قالَ تعالىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥].

وجَعلَ الحَرمَينِ الشَّريفَينِ منارةً للعِلمِ والهِدايةِ، قالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾

[آل عمران:٩٦]، فهوَ قِبلتُهم ومُتعبَّدُهم، ولأنَّ فيه آياتٍ عجيبةً دالَّةً علىٰ عظيمِ قُدرتِه تعالىٰ وبالغِ حِكْمتِه.

وقدْ حثَّ النَّبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علىٰ هدايةِ النَّاسِ وتقديمِ الخيرِ لهُم، فقالَ لعليِّ بنِ أَبي طالبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**وَاللهِ، لَأَنْ يُهْدَىٰ بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**»(١).

قالَ أبو العبَّاسِ القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ: «الهِدايةُ: الدَّلالةُ والإِرْشادُ. والنَّعَمُ: هيَ الإبلُ، وحُمْرُها: هيَ خِيارُها حُسنًا وقوَّةً ونَفاسَةً؛ لأنَّها أفضلُ عندَ العربِ.

ويعني به -واللهُ أعلمُ-: أنَّ ثوابَ تعليمِ رجلٍ واحدٍ وإرشادِه للخيرِ، أعظمُ من ثوابِ هذهِ الإبلِ النَّفيسةِ لوْ كانتَ لكَ فتصدَّقتَ بها؛ لأنَّ ثوابَ تلكَ الصَّدقةِ يَنقطِعُ بموتِها، وثوابَ العِلمِ والهُدَىٰ لا يَنقطِعُ إلىٰ يومِ القِيامةِ»(٢).

وإنَّ مِن أبرزِ عَلاماتِ المُؤمنِ الصَّادقِ: أنَّه يُحبُّ الخَيرَ لأخيهِ المُسلمِ.

(١) رواه البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦).
(٢) المفهم (٦/ ٢٧٦).

قالَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لنَفْسِهِ**»(١).

ويُحبُّ للنَّاسِ الهِدايةَ والسَّعادةَ، فهذا مُؤمِنُ آل ياسينَ الَّذي أَيَّدَ اللهُ به المُرسَلينَ، لمَّا عاينَ كرامةَ اللهِ: ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ [يس:٢٦-٢٧].

قالَ قَتَادَةُ: «فَلَا تَلْقَىٰ المُؤْمِنَ إِلَّا نَاصِحًا، وَلَا تَلْقَاهُ غَاشًّا، فَلَمَّا عَايَنَ مِنْ كَرَامَةِ اللهِ، ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾، تَمَنَّىٰ عَلَىٰ اللهِ أَنْ يَعْلَمَ قَوْمُهُ مَا عَايَنَ مِنْ كَرَامَةِ اللهِ»(٢).

وهذا مُؤمِنُ آل فرعونَ يقولُ لقومِه ناصحًا لهُم، مُحبًّا لهُم الهِدايةَ والنَّجاةَ: ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ٣٢ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾ [غافر:٣٢-٣٣].

فالأَنْبياءُ والدُّعاةُ هُداةٌ مُهتدَونَ، وصالحُونَ مُصلحُونَ، قال

(١) رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٤٢٥).

تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء:٧٣]، وقالَ تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤].

وها همُ القائِمُونَ علىٰ شُؤونِ الحَرمَينِ الشَّريفَينِ يسيرُونَ علىٰ طريقِ الأَنبياءِ والسَّلفِ الصَّالحِ، فيُحبُّونَ الهِدايةَ للنَّاسِ، ويدلُّونَهم علىٰ خالقِهم، ويُقَدِّمونَ لهم كلَّ ما يُعينُهم علىٰ عبادةِ ربِّهم.

فالأَئمَّةُ في الحَرمَينِ يَصْدَحُونَ بالقُرآنِ الكَريمِ ويُرتِّلُونَه تَرتيلًا، فيتردَّدُ في الإذاعاتِ والقَنواتِ في أرجاءِ الأرضِ؛ ليَتذكَّرَ به أُولُو النُّهَىٰ، وتقومَ به الحُجَّةُ علىٰ العالَمينَ.

والعُلماءُ والدُّعاةُ في الحَرمَينِ يدعونَ النَّاسَ إلىٰ صراطِ اللهِ، ويشرحُونَ لهم دِينَ اللهِ بأسلُوبٍ سهلٍ يسيرٍ، يفهمُه الصَّغيرُ والكَبيرُ، لا سيَّما في المواسمِ والزِّحامِ، واجتِماعِ أُمَّةِ الإسلامِ، فيتعلَّمونَ منهم أحكامَ الحجِّ والعُمرةِ والزِّيارةِ، وسائرِ أُمورِ الدِّينِ بأوضحِ عِبارةٍ؛ ليعبُدوا اللهَ علىٰ بصيرةٍ وبيِّنةٍ، مُقتدِينَ بالنَّبيِّ ﷺ، حيثُ أَمرَه ربُّه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ

ٱتَّبَعَنِي ۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨].

قالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ لَعَبْدِهِ وَرَسُولِهِ إِلَىٰ الثَّقَلَيْنِ: الإِنْسِ وَالجِنِّ، آمِرًا لَهُ أَنْ يُخْبِرَ النَّاسَ: أَنَّ هَذِهِ سَبِيلُهُ، أَيْ: طَرِيقُهُ وَمَسْلَكُهُ وَسُنَّتُهُ، وَهِيَ الدَّعْوَةُ إِلَىٰ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، يَدْعُو إِلَىٰ اللهِ بِهَا عَلَىٰ بَصِيرةٍ مِنْ ذَلكَ وَيَقِينٍ وَبُرْهَانٍ، هُوَ وَكُلُّ مَنِ اتَّبَعَهُ، يَدْعُو إِلَىٰ مَا دَعَا إِلَيْهِ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ وَيَقِينٍ وَبُرْهَانٍ شَرْعِيٍّ وَعَقْلِيٍّ»[1].

وعُلمَاءُ الحَرمَينِ ودُعاتُهمَا يدعُونَ النَّاسَ إلىٰ سبيل ربِّهم بالحِكمةِ والمَوعظةِ الحَسنةِ، مُمتثِلينَ قولَه تعالىٰ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل:١٢٥].

فالمُستجِيبُ القابلُ الَّذِي لَا يُعانِدُ الحقَّ وَلَا يَأْبَاه، يُدعَىٰ بطرِيقِ الحِكْمةِ.

والقابلُ الَّذي عِندَه نوعُ غَفلَةٍ وَتَأَخُّرٍ يُدعَىٰ بِالموعظةِ الحَسنةِ، وهيَ الأَمرُ والنَّهيُ المَقرُونُ بالرَّغبةِ والرَّهبةِ.

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٢٢).

والمُعانِدُ الجاحدُ يُجادَلُ بالَّتي هيَ أَحسنُ[1].

إنَّ هَدْيَ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعوتِه وهِدايتِه هو الرِّفقُ واللِّينُ، مُستجِيبًا لربِّه عَزَّوَجَلَّ إذْ قالَ له: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء:٨٨]، فاستَأْلَفَ بذلكَ القُلوبَ، وحَنَّتْ له الأرواحُ، قالَ تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩].

«أيْ: برحمةِ اللهِ لكَ ولأصحابِكَ مَنَّ اللهُ عليكَ أنْ أَلَنْتَ لهم جانبَكَ، وخفضْتَ لهم جَناحَكَ، وتَرقَّقْتَ عليهِم، وحَسَّنْتَ لهم خُلُقَكَ، فاجتَمعُوا عليكَ وأَحبُّوكَ وامتَثلُوا أَمرَكَ، ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا﴾، أي: سَيِّئَ الخُلُقِ ﴿غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ﴾، أيْ: قاسِيَه، ﴿لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾؛ لأنَّ هذا يُنفِّرُهُم»[2].

ومِن هَدْيِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الدَّعوةُ بالكَلمةِ الطَّيِّبةِ الرَّقيقةِ النَّافعةِ، فهيَ أقربُ إلىٰ القَبول والاسْتِجابةِ، وهيَ صدقةٌ مِنَ الصَّدقاتِ.

قالَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**»[3].

---

(١) ينظر: مفتاح دار السعادة (١/ ١٥٣).
(٢) تفسير السعدي (ص: ١٥٤).
(٣) رَواهُ البُخارِيُّ (٢٩٨٩)، وَمُسلمٌ (١٠٠٩).

وعنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، **قالَ**: «البِرُّ شَيْءٌ هَيِّنٌ: وَجْهٌ طَلِيقٌ، وَكَلامٌ لَيِّنٌ»[1].

ولذا ينبغِي للحاجِّ أنْ يحرصَ علىٰ انتِقاءِ الكلمةِ الطَّيِّبةِ وهوَ يتَحاورُ معَ غيرِه من الحُجَّاجِ والمَسؤُولينَ.

رَوَىٰ عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ هَمَّامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ خَلَّادِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: سَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ، أَيُّ الحَاجِّ أَفْضَلُ؟

قَالَ: «مَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَكَفَّ لِسَانَهُ».

قَالَ عبدُ الرَّزَّاقِ: وَأَخْبَرَنَا الثَّوْرِيُّ قَالَ: «سَمِعْنَا أَنَّهُ مِنْ بِرِّ الحَجِّ»[2].

وانتِقاءُ أَطايبِ الكَلامِ مِن صفاتِ المُؤمنينَ الفَائِزينَ بالنَّعيمِ المُقيمِ في جنَّاتِ النَّعيمِ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [الحج:٢٤].

وعنْ أَبي شُرَيْحٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ يُوجِبُ لِيَ الجَنَّةَ؟

---

(١) الصمت لابن أبي الدنيا (ص١٨٠)، مكارم الأخلاق للخرائطي (ص٦٤)، شعب الإيمان للبيهقي (١٠/ ٤٠٥).

(٢) مصنف عبد الرزاق (٥/ ١٠).

قَالَ: «**طِيبُ الكَلامِ، وَبَذْلُ السَّلامِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ**»(١).

ولذا كانَ السَّلفُ حريصِينَ ألَّا تخرجَ مِن أفواهِهم كلمةٌ مَعِيبَةٌ:

عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ، قَالَ: كَانَ شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي سَفَرٍ، فَنَزَلَ مَنْزِلًا، فَقَالَ لغُلَامِهِ: ائْتِنَا بِالسُّفْرَةِ نَعْبَثْ بِهَا، فَأَنْكرت عَلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا تَكَلَّمْتُ بِكَلِمَةٍ مُنْذُ أَسْلَمْتُ إِلَّا وَأَنَا أَخْطِمُهَا وَأَزُمُّهَا، غَيْرَ كَلِمَتِي هَذِهِ، فَلَا تَحْفَظُوهَا عَلَيَّ»(٢).

وقالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ: «أَخْبَرَنِي مَنْ صَحِبَ الرَّبِيعَ بْنَ خُثَيْمٍ عِشْرِينَ عَامًا، مَا سَمِعَ مِنْهُ كَلِمَةً تُعَابُ»(٣).

ومِن حِرْصِ المَسؤُولينَ في الحَرمَينِ علىٰ هِدايةِ النَّاسِ ودَعوتِهم بالحِكْمةِ: إعدادُهم الهَدايا القَيِّمةَ منَ الكُتُبِ العِلميَّةِ النَّافعةِ، والرَّسائل المُفيدَةِ، فالهديَّةُ من أسبابِ المَحبَّة.

---

(١) حسن: رواه ابن حبان في صحيحه (٥٠٤)، والبخاري في الأدب المفرد (٨١١).

(٢) رواه الإمام أحمد (١٧١١٤)، وابن المبارك في الزهد (ص٢٨٩)، وابن قتيبة في عيون الأخبار (٢/ ٣٠٤)، وابن أبي الدنيا في الصمت (ص٢٢٣).

(٣) الطبقات الكبرىٰ (٦/ ٢٢١)، الزهد لأحمد (ص٢٧٣)، الزهد لهناد (٢/ ٥٣٩).

عنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: قالَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَهَادَوْا تَحَابُّوا**»(١).

ومِن أَنْفَسِ الهَدايا وأَنْفَعِها: العِلمُ النَّافعُ والكَلامُ الطَّيِّبُ.

قالَ عبدُ الرَّحمنِ بْنُ أَبِي لَيْلَىٰ: لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، فَقَالَ: **أَلَا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً؟** خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْنَا: قَدْ عَرَفْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟

قَالَ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»(٢).

وقَالَ رَجُلٌ لأَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فُلانٌ يُقْرِئُكَ السَّلامَ.

فَقَالَ: «هَدِيَّةٌ حَسَنَةٌ، وَمَحْمَلٌ خَفِيفٌ»(٣).

---

(١) حسن: رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٩٤)، وأبو يعلىٰ في مسنده (٦١٤٨)، والدولابي في الكنىٰ (٢/ ٤٦٦)، وابن عدي في الكامل (٥/ ١٦٦).

(٢) رَواهُ البُخارِيُّ (٦٣٥٧)، وَمُسلمٌ (٤٠٦).

(٣) بهجة المجالس لابن عبد البر (ص٥٨).

وقالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّما الهَديَّةُ النَّافعةُ: كلمةٌ يُهدِيها الرَّجلُ إلىٰ أخيهِ المُسلمِ»[1].

قالَ الشَّاعرُ:

هَدَايَـــا النَّاسِ بَعْضِهُـــمُ لبَعْضٍ
تُولِّـــدُ في قُلُوبِهِـــمُ الوِصَـــالَا

وَتَزْرَعُ فِـــي الضَّمِيرِ هَوًىٰ وَوُدًّا
وَتَكْسُوهُمْ إِذَا حَضَرُوا جَمَالَا[2]

وقدْ حرصَ القَائِمُونَ علىٰ شُؤونِ الحَرمَينِ علىٰ إِهْداءِ الحُجَّاجِ والمُعتَمِرينَ والزُّوارِ الكُتُبَ النَّافعةَ والرَّسائلَ الماتعةَ، الَّتي تُبَصِّرُهم بأُمورِ دِينِهم، بأُسلوبٍ سهلٍ مُبَسَّطٍ، وبشَكلٍ مُوجَزٍ مُختصَرٍ.

كمَا حرصُوا علىٰ إعدادِ التَّطبيقاتِ الإلكْتُرونيَّةِ والمقاطِعِ المَرئيَّةِ، الَّتي تُيَسِّرُ لهم تعلُّمَ مَناسِكِهم، بحيثُ تكونُ بينَ أيدِيهم مُثَبَّتةً علىٰ جَوَّالاتِهم في كلِّ مكانٍ وزمانٍ.

(١) الرسالة التبوكية (ص٧٤).
(٢) ينظر: روضة العقلاء لابن حبان (ص٢٤٤)، التمهيد لابن عبد البر (١٣/ ١٤٣)، تاريخ دمشق لابن عساكر (١٧/ ٢٥٦).

وهكَذا يحرصُ القائِمونَ علىٰ شُؤونِ الحَرمَينِ علىٰ هِدايةِ النَّاسِ بأيسرِ سبيلٍ وأجمل أُسلوبٍ؛ لتَنشرِحَ لدعوتِهمُ القُلوبُ، واللهُ تعالىٰ يَهدِي مَن يشاءُ إلىٰ صراطِه المُستقِيمِ.

مِنْ أَعْظَمِ القِيَمِ المُرَاد رُسُوخُهَا

حُـــبُّ الهِدايَـــةِ أَيُّهَـــا الثَّقَلانِ

وَنَوَدُّ لَوْ نَالُوا السَّعَادَةَ فَاسْمَعُوا

سَـــمْعَ الإِجَابَةِ دَاعِـــيَ الإِيمَانِ

هَذَا الصِّرَاطُ المُسْـــتَقِيمُ مُوَصِّلٌ

مَنْ سَـــارَ فِيهِ لجَنَّـــةِ الرِّضْوَانِ

القيمة الرابعة
الحَفاوَةُ

الحَفاوَةُ: المُبالَغةُ في الإكْرام والإلْطافِ، يُقالُ: حَفِيَ بالرَّجُل حَفَاوَةً وحِفاوَةً وحِفَايةً، وتَحَفَّىٰ بِهِ واحْتَفَىٰ: بالَغَ فِي إكْرامِه وإلْطافِه، وأظْهَرَ السُّرُورَ والفَرَحَ بِهِ.

وأَنَا بِهِ حَفِيٌّ، أَيْ: بَرٌّ مُبَالِغٌ فِي الكَرَامَةِ.

والتَّحَفِّي: الكَلامُ واللِّقاءُ الحَسَنُ.

الحَفِيُّ: هُوَ اللَّطِيفُ بِكَ، يَبَرُّكَ ويُلْطِفُكَ ويَحْتَفِي بِكَ.

وحَفِيَ فُلَانٌ بِفُلَانٍ يَحْفَىٰ بِهِ حَفَاوَةً: إِذَا قَامَ فِي حَاجَتِهِ وأَحْسَنَ إِلَيهِ[1].

وقدْ كانَ مِن هَدْيِ النَّبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحَفاوَةُ بِالضُّيوفِ.

فعَنْ عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ لَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنِ القَوْمُ؟**»، أَوْ «**مَنِ الوَفْدُ؟**»

(١) ينظر: تهذيب اللغة (٥/ ١٦٧)، الصحاح (٦/ ٢٣١٦)، المحكم (٤/ ٢٣)، لسان العرب (١٤/ ١٨٧)، القاموس المحيط (ص: ١٢٧٥).

قَالُوا: رَبِيعَةُ.

قَالَ: «**مَرْحَبًا بِالقَوْمِ، أَوْ بِالوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَىٰ**»(١).

«غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَىٰ» أَيْ: غَيرَ مُهانِينَ ولا مَذلُولينَ ولا نادِمينَ، بلْ مُكرَمينَ مُغتَبِطينَ فَرِحينَ(٢).

وأَوَّلُ مَنِ احتفَىٰ بالضُّيوفِ وأَكرمَهُم خليلُ اللهُ إبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

قالَ سَعِيدُ بْنُ المُسَيَّبِ: «كَانَ إِبْرَاهِيمُ أَوَّلَ النَّاسِ ضَيَّفَ الضَّيْفَ»(٣).

وقالَ عِكْرِمَةُ: «كَانَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يُكَنَّىٰ أَبَا الضِّيفَانِ، وَكَانَ لِقَصْرِهِ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٥٣) ومسلم (١٧).

(٢) ينظر: مشارق الأنوار للقاضي عياض (١/ ٢٣٤)، المفهم للقرطبي (١/ ١٧٣)، التوضيح لابن الملقن (٢٨/ ٥٩٢).

(٣) رواه الإمام مالك في الموطأ (٣٤٠٨)، وابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٣١٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٨/ ٣٨٧).

(٤) قرىٰ الضيف لابن أبي الدنيا (ص١٨)، الكنىٰ والأسماء للدولابي (١/ ٢٣٠)، حلية الأولياء (٣/ ٣٣٦).

وقالَ مُجَاهِدٌ في قَوله تَعالَىٰ: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤]: «كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَتَوَلَّىٰ خِدْمَتَهُمْ بِنَفْسِهِ»(١).

وقالَ أبو عُمرَ بنُ عَبدِ البَرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا أَعلَمُ خِلافًا بينَ العُلماءِ في مَدحِ مُضِيفِ الضَّيْفِ وحَمدِه والثَّناءِ بذلكَ علَيهِ، وكلُّهم يَندُبُ إلىٰ ذلكَ، ويجعَلُه مِن مكارمِ الأخلاقِ وسُننِ المُرسَلينَ؛ لأنَّهُ ثبَتَ أنَّ إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أوَّلُ مَن ضيَّفَ الضَّيفَ»(٢).

وها هُمُ القائِمونَ علىٰ شُؤونِ الحَرمَينِ الشَّريفَينِ يَتَّبِعونَ هَدْيَ النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحَفاوَةِ بِضُيوفِ الرَّحمنِ، والمُبالغَةِ في مُعاملَتِهم باللُّطفِ والإكرامِ.

فأهلًا بِكُمْ ومرحبًا يا أكرمَ ضُيوفٍ! حَللتُمْ أهلًا ونَزلتُمْ سهلًا! وطِبتُم وطابَ مَمشاكُم، وتَبوَّأتُمْ مِنَ الجَنَّةِ منزلًا!

مرحبًا بِكُم يا حُجَّاجَ بَيتِ اللهِ الحرامِ، يومَ أنِ استَجبتُمْ لنداءِ ربِّكُم علىٰ لسانِ خَليله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا

(١) قرىٰ الضيف لابن أبي الدنيا (ص١٩)، الترغيب والترهيب للأصفهاني (٣/ ٣٢٣)، شعب الإيمان (١٢/ ١٤٧).
(٢) التمهيد (١٣/ ١٧٣).

وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٧-٢٨]، تارِكينَ في سَبيلِ ذلكَ أَوطانَكُم وأَموالَكُم وأَولادَكُم!

قَدِمتُم يا حُجَّاجَ بَيتِ اللهِ الحرامِ خَيرَ مَقدمٍ! أهلًا حَلَلْتُمْ، وسهلًا وَطئتُم! بلادُ الحَرمَينِ الشَّريفَينِ تَشرفُ بِكُم، قيادَتُها وشَعبُها! ومهابطُ الوَحيِ ومَنابعُ الرِّسالةِ تَزدانُ بِكُم، وبِطاحُ مكَّةَ ورُباها وسُهولُها وأَودِيَتُها وأَهلُها تُحيِّيكُم! وكيفَ لا يحقُّ لها ذلكَ، وسماءُ مكَّةَ تُدوِّي بِجَلجلَةِ تَلبيَتِكُم، وأَودِيَتُها تضجُّ بِدُعائِكُم عبرَ حناجِرِكُمُ المُؤمنةِ: «لبَّيكَ اللَّهمَّ لبَّيكَ، لبَّيكَ لا شَريكَ لكَ لبَّيكَ، إنَّ الحمدَ والنِّعمةَ لكَ والمُلكَ، لا شَريكَ لكَ»!

يا مرحبًا بِكُم يومَ أنْ قَطعتُمُ الفَيافِيَ والقِفارَ، وأَتَيتُم عبرَ القارَّاتِ والأقطارِ، علىٰ متنِ الأجواءِ والبِحارِ، تَبتَغونَ رحمةَ العزيزِ الغفَّارِ، ربُّكمْ واحِدٌ، ودينُكمْ واحدٌ، وهَدفُكم واحِدٌ، وزِيُّكم واحدٌ، وقِبلَتُكم واحدةٌ، لا حرَمكُمُ اللهُ ثوابَ ما تُؤمِّلونَ!

مرحبًا بكُم يا حُجَّاجَ بيتِ اللهِ الحرامِ! حجُّكمْ إنْ شاءَ اللهُ مَبرورٌ، وذَنبُكمْ بإذنِ اللهِ مغفورٌ، فنَحسبُكم -واللهُ حَسيبُكمْ-

مِنَ الَّذينَ: ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

كمْ بَذلتُم واجتَهدتُم حتَّىٰ بَلغتُم بلدَ اللهِ الحرامَ لأداءِ مناسكِ اللهِ!

فلسانُ حالكُمْ يَقولُ:

وَأَمْوَالُنَا مَبْذُولَةٌ وَنُفُوسُنَا

وَلَمْ نُبْقِ شَيْئًا مِنْهُمَا مَا بَذَلْنَاهُ

عَرَفْنَا الَّذِي نَبْغِي وَنَطْلُبُ فَضْلَهُ

فَهَانَ عَلَيْنَا كُلُّ شَيءٍ بَذَلْنَاهُ

فَمَنْ عَرَفَ المَطْلُوبَ هَانَتْ شَدَائِدٌ

عَلَيْهِ وَيَهْوَىٰ كُلَّ مَا فِيهِ يَلْقَاهُ

فهنيئًا لَكُمُ البَذلُ في الحجِّ والعُمرةِ! فهو مِنَ الإنفاقِ في سَبيلِ اللهِ.

فقدِ امتَنعَ أبو معقلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِن أنْ يُعطِيَ جَملَه لزَوجَتِه لتَحُجَّ علَيهِ؛ لأنَّهُ جَعلَهُ في سبيلِ اللهِ، فقالَ لهُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَعْطِهَا فَلْتَحُجَّ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»[1].

(١) صحيح بشواهده: رواه أبو داود (١٩٨٨)، وأحمد (٢٧١٠٧)، من حديث أم معقل الأسدية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قالَ أَنَسُ بْنُ سِيرِينَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَوْصَىٰ إِلَيَّ رَجُلٌ بِمَالِهِ أَنْ أَجْعَلَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَسَأَلْتُ ابْنَ عُمَرَ، فَقَالَ: «إِنَّ الحَجَّ مِنْ سَبِيلِ اللهِ، فَاجْعَلْهُ فِيهِ»(١).

فهنيئًا لَكُم إنفاقُكُم في الحجِّ والعُمرةِ والزِّيارَةِ! فهو في سَبيل الله، وهَنيئًا لكُم سَعيُكمْ إلىٰ بَلدِ اللهِ الحرامِ وفي أداءِ المَناسِكِ! فهو في اللهِ ولله، إذْ شِعارُكم فيهِ: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤].

نَحُجُّ لبَيْتٍ حَجَّهُ الرُّسْــلُ قَبْلَنَا
لنَشْهَدَ نَفْعًا فِي الكِتَابِ وُعِدْنَاهُ
دَعَانَــا إِلَيْــهِ اللهُ قَبْــلَ بِنَائِــهِ
فَقُلْنَــا لَــهُ لَبَّيْــكَ دَاعٍ أَجَبْنَاهُ

يَلقاكُم إخوانُكم بِابتسامَةِ المُشتاقِ.

وقدْ قالَ النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ**»(٢).

---

(١) رواه البغوي في الجعديات (١١٥١)، والطحاوي في أحكام القرآن (١/ ٣٦٩)، والبيهقي في السنن (١٢٦٠٥).

(٢) صحيح بطرقه: رواه الترمذي (١٩٥٦) وقال: «حسن غريب»، والبخاري في الأدب المفرد (٨٩١)، وابن حبان في صحيحه (٤٧٤).

وقَالَ عَبدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «البِرُّ شَيْءٌ هَيِّنٌ: وَجْهٌ طَلِيقٌ، وَكَلامٌ لَيِّنٌ»(١).

وقدْ قيلَ: «البَشَاشَةُ مَصْيَدَةُ المَودَّةِ»(٢).

ويَعرِفونَ ما أَنتُم علَيهِ مِنَ الكلامِ الطَّيِّبِ ومكارمِ الأخلاقِ.

وقدْ قالَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقًا**»(٣).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحَاسِنُهُمْ أَخْلَاقًا، المُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ**»(٤).

وَيُقابِلونَ كَرمَ أَخلاقِكُم بِمثله، فيَسعُونَ إخوانَهُم ببَسْطِ الوَجهِ وحُسْنِ الخُلُقِ.

---

(١) الصمت لابن أبي الدنيا (ص١٨٠)، مكارم الأخلاق للخرائطي (ص٦٤)، شعب الإيمان للبيهقي (١٠/ ٤٠٥)، وقد تقدم.

(٢) الترغيب والترهيب للأصفهاني (٢/ ٤٢٢).

(٣) رواه البخاري (٦٠٣٥)، ومسلم (٢٣٢١)، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) صحيح لغيره: رواه الطبراني في الصغير (٦٠٥)، والأوسط (٤٤٢٢)، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (٢/ ٢٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠/ ٣٥٦).

وعلىٰ رأسِ حُسنِ الخُلقِ: حُسنُ المُعامَلةِ.

فقدْ قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**اتَّقِ اللهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»(١).

قالَ عَبْدُاللهِ بْنُ المُبَارَكِ رَحِمَهُٱللَّهُ، في وَصفِ حُسْنِ الخُلُقِ: «هُوَ بَسْطُ الوَجْهِ، وَبَذْلُ المَعْرُوفِ، وَكَفُّ الأَذَىٰ»(٢).

وسُئِلَ الأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ: مَا إكرامُ الضَّيفِ؟

قَالَ: «طَلاقَةُ الوَجهِ، وطِيبُ الكَلامِ»(٣).

وخيرُ ما يُقَدِّمُونَهُ لكُم مِن كرامةٍ وحَفاوَةٍ: تَعليمُكم أحكامَ المناسكِ وصِفاتِها، وفُروضَها وهَيئاتِها؛ لتُؤَدُّوها وَفْقًا للكتابِ والسُّنَّةِ؛ لتكونَ مَقْبولةً عندَ اللهِ، فإنَّما يُقبَلُ مِنَ العملِ ما أُرِيدَ بِهِ وَجهُ اللهِ، وكانَ مُوافِقًا لهَدي رَسولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، كما قالَ تَعالَىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

---

(١) حسن لغيره: رواه الترمذي (١٩٨٧) وصححه، وأحمد (٢١٣٥٤)، والدارمي (٢٨٣٣)، من حديث أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) رواه الترمذي في سننه (٤/ ٣٦٣)، وابن حبان في روضة العقلاء (ص٦٩).

(٣) روضة العقلاء (ص٢٦١).

فعَنْ أَبِي أُمامَةَ البَاهليِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**إِنَّ اللهَ لا يَقْبَلُ مِنَ العَمَلِ، إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ**»(١).

وعن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّىٰ اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ...**»، ثمَّ ذكرَ نحوَ ذلكَ في قارئِ القُرآنِ، وفي المُنفِقِ(٢).

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنهُ، فَهُوَ رَدٌّ**»(٣).

وفي رِوايَةٍ لمُسلمٍ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ**».

فلْيَحرِصِ المُسلمُ علىٰ إخلاصِ العمل للهِ، وأنْ يكونَ عَملُه مُوافِقًا لسُنَّةِ نَبيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحجِّ وغَيرِه.

(١) حسن: رواه النسائي (٣١٤٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ١٤٠).
(٢) رواه مسلم (١٩٠٥).
(٣) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

ويقومُ العُلَماءُ بالإجابةِ علىٰ أَسئلتِكُم، وحلِّ استِشْكَالاتِكُم، فمَهما تَعلَّمَ الإنسانُ مَناسِكَ الحجِّ، ومَهما حجَّ واعتَمرَ، فلا بُدَّ أنْ يَعرِضَ لهُ إشكالٌ يحتاجُ فيهِ إلىٰ السُّؤال، فيسألُ أهلَ العِلمِ؛ عملًا بقَولِه تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

قالَ ابنُ عَبدِ البَرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَمْ تَخْتَلفِ العُلَمَاءُ أَنَّ العَامَّةَ عَلَيْهَا تَقْليدُ عُلَمَائِهَا، وَأَنَّهُمُ المُرَادُونَ بِقَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾»[1].

والمُفتُونَ الثِّقاتُ بِفَضلِ اللهِ تَعالَىٰ مُتَوافِرونَ في كلِّ المَشاعِرِ، في المَساجِدِ والمُخَيَّماتِ والطُّرقاتِ، وعَبْرَ الهواتفِ والتَّطبيقاتِ، فمَن أرادَ أنْ يَسألَ عن شَيءٍ في مَناسِكِه، فلنْ يَعجزَ عنِ الوُصولِ إلىٰ مُفتٍ ثِقَةٍ يُجيبَ سؤالَه، ويحُلَّ إشكالَه.

ولْتَحذرْ أَخِي الحاجُّ وأَخِي المُعتَمِرُ مِن سُؤالِ العَوامِّ، وَمِن استفتاءِ غيرِ العُلماءِ المُتخصِّصينَ حتَّىٰ لا يُضِلُّوكَ ويُضيِّعوا علَيكَ نُسُكَكَ.

وقدْ قالَ النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّىٰ إِذَا**

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٨٨).

لَمْ يُبْقِ عَالمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَضَلُّوا، وَأَضَلُّوا»[1].

فاحذَرْ مِمَّن يُفتونَ بالجَهل أوِ الهَوَىٰ؛ فإنَّهُم يَفترونَ علىٰ اللهِ الكذبَ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

وإنَّما يَجِبُ أنْ يُستَفْتَىٰ الفُقهاءُ المُتخصِّصُونَ، والعُلماءُ الرَّبَّانِيُّونَ، الَّذينَ ﴿يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]، وهُم بِفَضل اللهِ في المَشاعرِ المُقدَّسةِ مُتوافِرونَ، وللإجابةِ عن أَسئلةِ الحُجَّاجِ والمُعتَمِرينَ مُستعِدُّونَ.

وَحَفَـــاوَةٌ بِالقَاصِدِيـــنَ؛ فَإِنَّهُمْ
زَيْنُ الـــبِلَادِ وَخِيـــرَةُ الضِّيفَانِ
مِثْلُ النُّجُـــومِ الزُّهْرِ حِينَ تَأَلَّقَتْ
خَيْرُ الوُفُـــودِ لصَفْـــوَةِ البُلْدَانِ
أَهْلًا وَسَـــهْلًا بِالجَمِيعِ وَمَرْحَبًا
أَكْرِمْ بِهِمْ وَفْـــدًا عَلَىٰ الرَّحْمَنِ

(١) رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣)، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

القيمة الخامسة
تَمكِينُ الفَريقِ

والمَقصودُ بِهِ: تَمتُّعُ المُوَظَّفِينَ بالمَسؤُولِيَّةِ والقُدرةِ علىٰ اتِّخاذِ القرارِ.

وتَمكينُ الفَريقِ يقومُ علىٰ مَنحِ المُوظَّفِ الثِّقةَ والدَّعمَ المَعنوِيَّ، وتحفِيزِه لإبرازِ قُدراتِه العَقليَّةِ والبَدنِيَّةِ، كما كانَ يَفعلُ رسولُ اللهِ ﷺ معَ أَصْحابِه.

كقَوله ﷺ لعَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، بعدَ الرُّؤيا الَّتي رآهَا: «**نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ!**».

قالَ سالمُ بنُ عَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ: «فَكَانَ عبدُ اللهِ بَعْدَ ذلكَ لا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَليلًا»[1].

وقَوله ﷺ لعَبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رضي الله عنهما: «**يَا عَمْرُو، نِعْمَ المَالُ الصَّالحُ للْمَرْءِ الصَّالحِ!**»[2].

(١) رواه البخاري (١١٢٢)، ومسلم (٢٤٧٩).

(٢) صحيح: رواه الإمام أحمد (١٧٧٦٣)، وابن حبان (٣٢١٠)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٩٩)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

كما يُؤَدِّي تَمكِينُ الفريقِ إلىٰ استِشعارِ كُلِّ مُوظَّفٍ مسؤُوليَّتَه تجاهَ العَمل؛ إذْ يَستَشعِرُ أنَّهُ جزءٌ مُهمٌّ مِن إنجازِه وإنجاحِه، كأنَّه عملُه هو، وليسَ مُجرَّدَ مُوَظَّفٍ فيهِ.

وقدْ يُشيرُ إلىٰ هذا المَعنَىٰ قولُ النَّبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لأَصحابِه: «**فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ**»(١).

قالَ الحافظُ ابنُ حَجرٍ رَحِمَهُٱللَّهُ: «إِسْنَادُ البَعْثِ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ طَرِيقِ المَجَازِ؛ لأَنَّهُ هُوَ المَبْعُوثُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِمَا ذَكَرَ، لَكِنَّهُمْ لَمَّا كَانُوا فِي مَقَامِ التَّبْلِيغِ عَنْهُ فِي حُضُورِهِ وَغَيْبَتِهِ، أَطْلَقَ عَلَيْهِمْ ذَلكَ؛ إِذْ هُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ قِبَلِهِ بِذَلكَ، أَيْ: مَأمُورُونَ»(٢).

ولا يَعنِي ذلكَ الفردِيَّةَ والتَّخلِّيَ عن رُوحِ الفَريقِ أو عن مَصلَحةِ الرِّئاسَةِ؛ فالإنسانُ لا يَرَىٰ تَقصيرَ نَفسِه، واليدُ الواحِدَةُ لا تُصَفِّقُ.

وهذا نبيُّ اللهِ مُوسَىٰ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ -وهو مِن أُولي العَزمِ مِنَ الرُّسُل- يحتاجُ إلىٰ مُعِينٍ في أَداءِ رِسالَتِه، حيثُ قالَ في دُعائِه فيما حَكَىٰ اللهُ تعالَىٰ عَنهُ: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ

(١) رواه البخاري (٢٢٠).
(٢) فتح الباري (١/ ٣٢٤).

أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾ [طه: ٢٩-٣٢]، وقال: ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [القصص: ٣٤-٣٥].

فتَمكِينُ الفَريقِ يَمنَحُ المُوظَّفَ الثِّقةَ، لكنْ لا يَحمِلُه علىٰ الأَنانِيَّةِ والفَردِيَّةِ، فهو يَتخلَّىٰ عنِ الفَردِيَّةِ، ويَحمِلُه هذا علىٰ التَّعاوُنِ وتَقديمِ المَصلحَةِ العامَّةِ ومَصلحَةِ الرِّئاسَةِ، واعتمادِ مَنهَجِيَّةِ الجَسَدِ الواحدِ، المُتناغِمِ في أفعالِهِ ومَواقِفِه.

فمِمَّا يُوصَىٰ بِهِ رجالُ الأَمنِ، والمُشرِفونَ علىٰ حَملاتِ الحُجَّاجِ، وغيرُهم مِمَّن يقومُونَ بخدمةِ القاصِدينَ: المُبادَرَةُ إلىٰ خِدمةِ النَّاسِ، ومُراعاةُ فنِّ عَلاجِ المُشكِلاتِ، والفِطنةُ وسُرعةُ البَديهَةِ في حلِّها، والقُدْرَةُ علىٰ اتِّخاذِ القَرارِ المُناسِبِ في الأحداثِ المُختلفَةِ.

فلا بُدَّ أنْ يَكونُوا سبَّاقِينَ دائمًا، لا يَنتظِرونَ مِنَ الحُجَّاجِ أنْ يُطالبوهُم بِما يُريدونَ، بلْ إذَا وَجدُوا مشكلةً بادَرُوا: هلْ تحتاجُ مُساعَدةً؟

فظروفُ الحجِّ كثيرةٌ، وقدْ يكونُ هُناكَ مُفاجَآتٌ غَيرُ مُتوقَّعةٍ، فينبغِي أنْ يكُونَ رَجلُ الأَمنِ والمشرِفُ وغَيرُهُما علىٰ قَدرٍ مِنَ الذَّكاءِ والفِطْنَةِ، الَّتي تُمَكِّنُه مِنَ التَّعامُل معَ جَميعِ الظُّروفِ والأَحوال.

وهذا بِحَمدِ اللهِ مَوجودٌ مَوفورٌ، مَعروفٌ غَيرُ مَنكُورٍ.

ومِنَ الجَوانبِ العَمليَّةِ في حلِّ مَشاكل الحُجَّاجِ:

- أَلَّا يُعالجَ الخَطأَ بِخَطأٍ مثله أو أَكبرَ مِنهُ؛ فالقاعِدةُ الشَّرعيَّةُ: «أنَّ الضَّررَ لا يُزالُ بالضَّررِ»، ولا يُزالُ بمِثله، فمِن بابِ أَولَىٰ: أَلَّا يُزالَ بِما هوَ أَكبَرُ مِنهُ.

- اجتِنابُ الظُّلْمِ؛ فهو خُلقٌ ذَميمٌ، والظُّلْمُ ظُلُماتٌ يَومَ القِيامَةِ.

- عَدمُ التَّمييزِ أوِ التَّفريقِ بَينَ المُتخاصِمَينِ بِسَببِ جِنسٍ أو وَطنٍ أو لونٍ أو نَوعٍ؛ بلْ يَجعَلُ نُصْبَ عينَيهِ قَولَ اللهِ تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٣].

وَمِمَّا يُساعِدُ علىٰ ذلكَ:

* الحِرصُ علىٰ الشُّورَىٰ معَ زُمَلائِه في العَمل، قالَ تَعالَىٰ لنَبيِّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فغيرُه أَحوَجُ للشُّورَىٰ.

وأَثنَىٰ اللهُ تعالىٰ علىٰ المُؤمِنينَ بصفاتٍ، مِنها: أَنَّهُم يَتَشاوَرونَ فيما بَينَهُم، فقالَ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨].

وقالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ: «مَا حَزَبَ قَوْمًا قَطُّ أَمْرٌ فَاجْتَمَعُوا، فَتَشَاوَرُوا فِيهِ، إِلَّا أَرْشَدَهُمُ اللهُ لأَصْوَبِهِ»(١).

* إتاحَةُ الفُرصةِ لإبداءِ الرَّأيِ.

* الثَّباتُ علىٰ القَرارِ وتَحمُّلُ عَواقبِه، وعَدمُ التَّردُّدِ بَعدَ اتِّخاذِ القَرارِ.

* مُراعَاةُ الحالةِ النَّفسِيَّةِ للنَّاسِ والنَّتائِجِ السَّلبيَّةِ للقَرارِ.

وقدْ حثَّ الإسلامُ عَلىٰ أنْ يكونَ المُؤمِنونَ بَعضُهم سَندًا لبعضٍ، وأنْ يُقَوِّيَ بَعضُهم بعضًا:

(١) روضة العقلاء (ص١٩٢).

فعَنْ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**»، وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ[1].

وهوَ مِنَ التَّكامُل بَينَ أَفرادِ المُجتَمعِ المُسلمِ.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ**»[2].

إنَّ تَكامُلَ الفريقِ وتَعاوُنَه وتَناغُمَه يَجعلُه كأَعضاءِ الجَسدِ الواحدِ.

كما قالَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَرَىٰ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ، وَتَوَادِّهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَىٰ عُضْوًا، تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّىٰ**»[3].

فكُلُّ عُضوٍ في الفَريقِ يُؤدِّي مَهامَّهُ بإخلاصٍ وجِدِّيَّةٍ، ونَشاطٍ وحَيويَّةٍ، في ضَوءِ عَملِ الفَريقِ؛ فإنَّهُم يَسيرونَ معًا علىٰ جادَّةِ الطَّريقِ، حتَّىٰ يُكَمِّلَ بعضُهم بعضًا فيما يَبنُونَ، ولا يَهدمَ بَعضُهم

(١) رواه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥).

(٢) حسن: رواه أبو داود (٤٩١٨)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٣٩)، والبيهقي (١٦٦٨١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦)، من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ما يَبنيهِ الآخَرُونَ، فكُلُّ واحدٍ مِنهُم لهُ عَينٌ علىٰ عَمله المُكلَّفِ بهِ، وعينٌ أُخرَىٰ علىٰ فَريقِه المُنتَمِي إلَيهِ، يقومُ كُلٌّ مِنهُم بِعَمله وواجِباتِه، ويُحاوِلُ أنْ يَتغلَّبَ علىٰ مَشاكله ومُعضِلاتِه.

كلُّ هذا تَحتَ مَظلَّةِ الرِّئاسَةِ وتَوجِيهاتِها، وأَوامرِها وتَعليماتِها؛ ليَحصُلَ التَّناغُمُ بَينَ جَميعِ الفِرَقِ وسائرِ الأفرادِ في كلِّ مَجالاتِ العَمل في الحَرمَينِ الشَّريفَينِ.

والمُستفيدُ في النِّهايَةِ هُمُ الحُجَّاجُ والمُعتَمِرونَ، والزُّوَّارُ والمُتعبِّدونَ، فيَجنُونَ ثِمارَ جهدِ الفريقِ والأفرادِ، والرِّئاسةِ والمَرؤُوسِينَ، يَجنُونَها في صورةِ بِناءٍ شامِخٍ كامل المَرافقِ، ومَكانٍ نَظيفٍ، وفراشٍ وَثِيرٍ، وتَكييفٍ مُنعِشٍ، وغيرِ ذلكَ مِنَ المَرافقِ المُريحةِ؛ ليَتفرَّغُوا في الحَرمَينِ للعِبادةِ وَهُم في غايَةِ السَّعادَةِ.

والرِّئاسَةُ بِرُؤيَةِ الفَريقِ والأفرادِ يُتابِعونَ علىٰ مَرِّ مَواسِمِ الحجِّ عبرَ السِّنينِ ما يَحتاجُ إلَيهِ جُموعُ الحُجَّاجِ والمُعتَمِرينَ في الحَرمَينِ الشَّريفَينِ وفي المَشاعِرِ المُقدَّسةِ، وما يُعينُهم علىٰ أداءِ المَناسكِ بِسُهولَةٍ ويُسرٍ، فيقُومونَ بِتَنفيذِه علىٰ أكمل الوُجوهِ، وفي أسرعِ وَقتٍ مُمكِنٍ، دونَ تَعطيلٍ للحُجَّاجِ والمُعتَمِرينَ، ولا إزعاجٍ للزُّوَّارِ والمُتعبِّدينَ.

ومعَ كلِّ هذا، فكُلُّهم آذانٌ مُصْغِيةٌ لأَيِّ اقتراحٍ أو مَشورَةٍ تُحَسِّنُ خِدمةَ الحُجَّاجِ والمُعتَمِرينَ؛ ليَخرُجَ العَملُ في أَجمل صورةٍ.

وَهُم يَفتَخِرونَ بِخدمَةِ ضُيوفِ الرَّحمنِ، وكَيفَ لا يَفتَخِرونَ بِخدمَتِهم وقدْ قامَ بِها قَبلَهُم نَبِيَّانِ كريمانِ، هُما إبراهيمُ وإسماعيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ؟! قالَ تَعالَىٰ: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

«أيْ: أَوحَينا إلَيهِما وَأَمرْناهُما بِتَطهيرِ بَيتِ اللهِ مِنَ الشِّركِ والكُفرِ والمَعاصِي، وَمِنَ الرِّجْسِ والنَّجاساتِ والأَقذارِ»[(١)].

وعن نُعَيمِ بنِ عبدِ اللهِ المُجْمِرِ: أنَّ عُمرَ بنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمرَ أنْ يُجمَرَ المسجدُ -مسجدُ المَدينَةِ- كلَّ يَومِ جُمعةٍ، حينَ يَنتصِفُ النَّهارِ[(٢)].

فعلَىٰ جَميعِ الحُجَّاجِ والمُعتَمِرينَ والزُّوَّارِ أنْ يُحافِظُوا علىٰ

(١) تفسير السعدي (ص٦٥).

(٢) السنن والأحكام للضياء المقدسي (٢/ ٣٤٣)، وعزاه لسعيد بن منصور.

ما في الحَرمَينِ مِن خِدماتٍ وإعمارٍ؛ إذِ الانتفاعُ بِها حقٌّ لكُلِّ الأجيال، واللهُ تَعالَىٰ هو مَقصودُنا مِن وَراءِ كلِّ هذهِ الأَعْمال، ونَرجُو أنْ يَتحقَّقَ في الجَميعِ قَولُ اللهِ تَعالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وَكَـــذَاكَ تَمْكِينُ الفَرِيـــقِ ثَقَافَةٌ

رُوحُ الفَرِيـــقِ لَنَا مِـــنَ الأَعْوَانِ

كُلٌّ يَقُـــومُ بِـــدَوْرِهِ مُتَعَاوِنًـــا

وَكَأَنَّمَـــا هُـــمْ وَاحِـــدٌ لَا اثْنَانِ

كَالنَّحْلِ إِذْ يَبْنِـــي الخَلِيَّةَ جَاهِدًا

حَتَّـــىٰ تَتِـــمَّ قَوِيَّـــةَ الأَرْكَانِ

القيمة السادسة
تبنِّي الإبْداعِ

الإبْداعُ: هو الإتْيانُ بِشَيءٍ جَديدٍ يكونُ وَليدَ ذِهنِ المُبدِعِ وَمِن بُنَيَّاتِ أفكَارِه، معَ إمكانِيَّةِ تَطبيقِه في الواقعِ المَلموسِ.

وقدْ حَثَّ الإسلامُ علىٰ التَّفكيرِ، والتَّفكِيرُ هو أداةُ الإبداعِ:

لقدْ حَثَّ الإسلامُ علىٰ التَّفكيرِ وإعمال العَقل، والنَّظرِ في آياتِ اللهِ الكَونِيَّةِ والشَّرعِيَّةِ، والعمل بِمُقتَضَىٰ التَّذكُّرِ الَّذي يُورثُه حُسنُ التَّفكُّرِ، كما حثَّ علىٰ النَّظرِ في الظَّواهرِ الكَونِيَّةِ المُختلفَةِ، وتَأمُّل بَديعِ صُنعِه ومُحكَمِ نظامِه.

كما حثَّ علىٰ تَحصيل العِلمِ ومَعرِفَةِ سُنَنِ اللهِ وقَوانينِه في جميعِ مَيادينِ العُلومِ المُختلفَةِ.

قالَ تعالىٰ: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، وقالَ تَعالَىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ [سبأ: ٤٦].

ففِي هذهِ الآياتِ وأَمثالها دَعوَةٌ صَريحَةٌ إلىٰ النَّظرِ والمُلاحَظةِ والتَّفكيرِ والبَحثِ العِلميِّ.

قالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ: سَأَلْتُ أُمَّ الدَّرْدَاءِ: مَا كَانَ أَفْضَلَ عِبَادَةِ أَبِي الدَّرْدَاءِ؟

قَالَتِ: «التَّفَكُّرُ وَالاعْتِبَارُ»(١).

وعنْ عامِرِ بنِ عَبدِ قَيسٍ، قالَ: سَمِعتُ غيرَ واحدٍ ولا اثنَينِ ولا ثلاثةٍ مِن أصحابِ مُحمَّدٍ ﷺ يَقولُونَ: «إنَّ ضياءَ الإيمانِ أو نورَ الإيمانِ: التَّفكُّرُ»(٢).

وأَنشدَ بَعضُهم:

نُزهَــةُ المُؤْمِــنِ الفِكَــرْ لَــذَّةُ المُؤْمِــنِ العِبــرْ(٣)

ومَدحَ الإسلامُ حُسنَ التَّفكيرِ والقُوَّةِ في التَّنفيذِ والتَّطبيق، قالَ تَعالَىٰ: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [ص: ٤٥].

---

(١) رواه النسائي في الكبرىٰ (١١٨٥٠) وابن المبارك في الزهد (ص٩٧)، ووكيع في الزهد (ص٤٧٤)، وابن سعد في الطبقات (٤/ ٣٥٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ١٨٥)، الدر المنثور للسيوطي (٢/ ٤٠٩)، وعزاه لابن أبي الدنيا.

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ١٨٥).

قالَ مُجَاهِدٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ٱلْأَيْدِى﴾: القُوَّةُ فِي أَمْرِ اللهِ، ﴿وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾: العُقُولُ»(١).

وقالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أُعطُوا قُوَّةً في العِبادةِ، وبَصرًا في الدِّينِ»(٢).

والإِبْداعُ لهُ فَوائِدُ عَظيمَةٌ:

- فهو يساعدُ علىٰ توليدِ أَفكارٍ جديدةٍ، تُطَبَّقُ علىٰ الواقعِ، ويَستَفيدُ مِنها النَّاسُ عامَّةً، والحجَّاجُ والمُعتمِرونَ خاصَّةً.

- ويُساعِدُ علىٰ تطويرِ الأفكارِ المَوجودةِ بالفعل؛ لزيادَةِ إمكانِيَّتِها، ووجوهِ الاستِفادةِ مِنها في المناسكِ وغَيرِها.

- ويُساعِدُ علىٰ حلِّ المُشكِلاتِ والتَّحدِّياتِ الَّتي تَظهَرُ بَينَ الحينِ والآخَرِ في المشاعِرِ المُقدَّسةِ في مَواسِمِ الزِّحامِ؛ لتَجنُّبِها في المواسِمِ التَّاليَةِ.

والقائِمونَ علىٰ شُؤونِ الحَرمَينِ لا يَبرَحونَ يَستنهِضونَ الطَّاقاتِ الفِكريَّةَ، والمواهِبَ العقليَّةَ؛ للاستِفادةِ مِنها في تَقديمِ كلِّ جَديدٍ ومُفيدٍ في المَرافقِ والتَّقنيَّاتِ والمُعدَّاتِ؛

(١) سنن سعيد بن منصور (١٨٥٤)، تفسير الطبري (٢٠/ ١١٥).
(٢) تفسير عبد الرزاق (٣/ ١٢٥)، تفسير الطبري (٢٠/ ١١٥).

لتَيسيرِ أداءِ المَناسِكِ لضُيوفِ الرَّحمنِ، مَهمَا كَثُرَ عَددُهم واشتَدَّ زِحامُهمْ.

وفي كُلِّ مَوسِمٍ يَجِدُ ضُيوفُ الرَّحمنِ فِكرةً أو أفكارًا إبداعيَّةً جَديدَةً يَستفِيدونَ مِنها، ويَرتفِقونَ بِها، وانظُرْ شاهدًا علىٰ ذلكَ منطقةَ الجَمراتِ، وقارِنْ بَينَ ما هي عَلَيهِ الآنَ، وبَينَ ما كانَتْ علَيهِ مُنذُ سَنواتٍ، فلنْ يَخفَىٰ علَيكَ ما حَدثَ مِن تَحديثٍ وتَطويرٍ، وما تَرتَّبَ عَلَيهِ مِن تَسهيلٍ وتَيسيرٍ، هو بِفَضلِ اللهِ تعالىٰ نِتاجُ الإبداعِ والتَّفكيرِ.

ولا يزالُ المَجالُ مَفتوحًا للابتِكارِ وتَقديمِ الاقتِراحاتِ والأفْكارِ الَّتي تَعودُ بِالنَّفعِ والتَّيسيرِ علىٰ ضُيوفِ الرَّحمنِ في الحَرمَينِ الشَّريفَينِ، وفي المَشاعرِ المُقدَّسةِ، وفي كلِّ مكانٍ.

وهكذا تتكاتَفُ العُقولُ وتَتكامَلُ لخدمةِ الحُجَّاجِ والعُمَّارِ والزُّوَّارِ؛ ليَرتَفِقُوا بِما يَنتُجُ عنها مِن حُلولٍ وأَفكارٍ.

وَطَرَافَــةُ الإِبْدَاعِ فِــي أَفْكَارِنَا
وَالفَهْــمُ مِنْحَــةُ رَبِّنَــا المَنَّانِ

فِينَا العُقُولُ النَّيِّـــرَاتُ، وَعِنْدَنَا
أَهْلُ الــذَّكَاءِ وَصَفْوَةُ الشُّـــبَّانِ

المُبْدِعُـــونَ شَـــبَابُنَا فَلْنُعْطِهِمْ
فُرَصًا لنَيْل السَّـــبْقِ فِي المَيْدَانِ

القيمة السابعة
التَّعاوُنُ

لقدْ حَثَّ الإسلامُ العَظيمُ علىٰ التَّعاوُنِ علىٰ فِعل الخَيرِ والمُشارَكةِ فيهِ، قالَ تَعالَىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

ففي هذهِ الآيةِ: «يَأْمُرُ تَعَالَىٰ عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ بِالمُعَاوَنَةِ عَلَىٰ فِعْلِ الخَيْرَاتِ، وَهُوَ البِرُّ، وَتَرْكِ المُنْكِرَاتِ، وَهُوَ التَّقْوَىٰ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ التَّنَاصُرِ علىٰ الباطِلِ، وَالتَّعَاوُنِ عَلَىٰ المَآثِمِ وَالمَحَارِمِ»[1].

قالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اشتَملَتْ هذهِ الآيَةُ علىٰ جَميعِ مَصالحِ العبادِ في مَعاشِهم ومَعادِهِم، فيما بَينَهُم بَعضِهم بَعضًا، وفيما بَينَهُم وبَينَ رَبِّهم؛ فإنَّ كُلَّ عَبدٍ لا يَنفَكُّ عن هاتَينِ الحالتَينِ وهذَينِ الواجِبَينِ: واجبٍ بَينَه وبَينَ اللهِ، وواجبٍ بينَه وبَينَ الخَلقِ.

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ١٢، ١٣).

فأمَّا ما بَينَه وبَينَ الخَلقِ مِنَ المُعاشَرةِ والمُعاوَنةِ والصُّحبَةِ، فالواجبُ علَيهِ فيها: أنْ يكونَ اجتِماعُه بهم وصُحبَتُه لهُم، تَعاوُنًا علىٰ مَرضاةِ اللهِ وطاعَتِه، الَّتي هي غايَةُ سَعادةِ العبدِ وفَلاحِه، ولا سَعادةَ لهُ إلَّا بِها، وهي البِرُّ والتَّقوَىٰ، اللَّذانِ هُما جِماعُ الدِّينِ كُلِّه.

والإثمُ والعُدوانُ في جانبِ النَّهيِ، نَظيرُ البِرُّ والتَّقوَىٰ في جانِبِ الأَمرِ»[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ، مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**»[2].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ**»[3].

وَمِن ذلكَ: تَعاوُنُ الصَّحابَةِ في بناءِ المَسجدِ النَّبوِيِّ:

فقدْ تَعاوَنَ الصَّحابَةُ في حَمل الحِجارةِ الَّتي يُبنَىٰ بِها المَسجِدُ:

(١) الرسالة التبوكية (ص: ٦-١٠) باختصار.
(٢) رواه مسلم (٢٦٩٩).
(٣) رواه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: كُنَّا نَنْقُلُ لَبِنَ المَسْجِدِ لَبِنَةً لَبِنَةً، وَكَانَ عَمَّارٌ يَنْقُلُ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ، فَمَرَّ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَسَحَ عَنْ رَأْسِهِ الغُبَارَ، وَقَالَ: «**وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ!**»[1].

وفي رِوايَةٍ: كُنَّا نَحْمِلُ لَبِنَةً لَبِنَةً، وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ يَحْمِلُ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ، فَرَآهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَ يَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: «**يَا عَمَّارُ، أَلَا تَحْمِلُ لَبِنَةً لَبِنَةً كَمَا يَحْمِلُ أَصْحَابُكَ!**».

قَالَ: إِنِّي أُرِيدُ الأَجْرَ مِنَ اللهِ[2].

قالَ ابنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «التَّعاوُنُ في بُنيانِ المَسجدِ مِن أَفضل الأَعْمال؛ لأنَّ ذلكَ مِمَّا يَجرِي للإِنْسانِ أَجرُه بَعدَ مَماتِه، ومثلُ ذلكَ حفرُ الآبارِ وتَحبِيسُ الأموال الَّتي يَعمُّ العامَّةَ نَفعُها»[3].

وكانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبِنَ فِي بُنْيَانِهِ، وَيَقُولُ وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ:

---

(١) رواه البخاري (٢٨١٢).

(٢) صحيح: رواه الإمام أحمد (١١٨٦١)، وابن حبان في صحيحه (٧٠٧٩)، والحاكم في المستدرك (٢٦٥٣).

(٣) شرح صحيح البخاري (٢/ ٩٨).

اللَّهُــمَّ إِنَّ الأَجْرَ أَجْــرُ الآخِرَهْ

فَارْحَمِ الأَنْصَــارَ وَالمُهَاجِرَهْ[1]

وقالَ ابنُ إسحاقَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَعَمِلَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُرَغِّبَ المُسْلِمِينَ فِي العَمَلِ فِيهِ، فَعَمِلَ فِيهِ المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ، وَدَأَبُوا فِيهِ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ:

لَئِــنْ قَعَدْنَــا وَالنَّبِــيُّ يَعْمَــلُ

لَــذَاكَ مِنَّــا العَمَــلُ المُضَلِّلُ»[2]

وبَعثَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا مُوسَىٰ وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **عامِلَينِ علىٰ اليَمنِ، وأَمرَهُما بِالتَّعاوُنِ فيما بَينَهُما.**

فعَنْ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ وَمُعَاذًا إِلَىٰ اليَمَنِ، فَقَالَ: «**يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا**»[3].

«أَيْ: تَوَافَقَا فِي الحُكْمِ وَلا تَخْتَلِفَا؛ لأَنَّ ذَلكَ يُؤَدِّي إِلَىٰ اخْتِلافِ أَتْبَاعِكُمَا؛ فَيُفْضِي إِلَىٰ العَدَاوَةِ، ثُمَّ المُحَارَبَةِ»[4].

(١) رواه البخاري (٣٩٠٦).
(٢) ينظر: سيرة ابن هشام (١/ ٤٩٦).
(٣) رواه البخاري (٤٣٤١)، ومسلم (١٧٣٣).
(٤) فتح الباري (١٣/ ١٦٢).

وَمِنَ المُهِمِّ والنَّافِعِ: التَّعاوُنُ داخِليًّا بينَ فريقِ العَمَل الواحِدِ، فَيَكُونُونَ كَالجَسَدِ الوَاحِدِ، وَيُطَبِّقُونَ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**»، وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ[1].

قالَ ابنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «تَعاوُنُ المُؤمنينَ بَعضِهم بَعضًا في أُمورِ الدُّنيا والآخِرةِ مَندوبٌ إلَيهِ بِهذا الحديثِ، وذلكَ مِن مَكارِمِ الأخلاقِ، فيَنبَغي للمُؤمِنينَ استِعمالُ آدابِ نَبِيِّهم، والاقتِداءُ بِما وصَفَ المُؤمِنينَ بَعضِهم لبَعضٍ مِنَ الشَّفَقَةِ والنَّصيحَةِ»[2].

وَمِنَ المُهِمِّ والنَّافِعِ: التَّعاوُنُ مَعَ شُرَكاءِ النَّجاحِ داخِلَ الفَرِيقِ وخَارِجِهِ، والاستِفادَةُ مِن تَجارِبِهم وخِبْراتِهِم، والتَّدقِيقُ في مَعرِفَةِ أَسرَارِ تَفَوُّقِهِم؛ للاقْتِدَاءِ بِهِم والسَّيرِ عَلىٰ مَنهَاجِهِم، وتَعمِيمِ تَجارِبِهِم النَّاجِحَةِ عَلىٰ سَائِرِ المُوظَّفِين؛ لأَجْلِ تَعمِيمِ الفَائِدَةِ.

وَمِنَ المُهِمِّ والنَّافِعِ: مَعرِفَةُ أَسبابِ النَّجاحِ للأَخذِ بِها، كما فَعلَ ذو القَرنَينِ رَحِمَهُ اللَّهُ، قالَ تَعالَىٰ في قصَّةِ ذِي القَرنَينِ: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤-٨٥].

(١) رواه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥)، وقد تقدم.
(٢) شرح صحيح البخاري (٩/ ٢٢٧).

«أيْ: أَعطاهُ اللهُ الأسبابَ المُوَصِّلةَ لما وَصلَ إلَيهِ، وعملَ بِتلكَ الأَسبابِ.

فإذَا اجتَمعَتِ القُدرَةُ علىٰ السَّببِ الحقيقيِّ والعملُ بهِ، حَصلَ المقصودُ، وإنْ عُدِمَا أو أَحدُهُما، لمْ يَحصُلْ»[1].

وعَنْ عَليِّ بنِ أَبِي طَلْحَةَ، عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾، قَالَ: «عِلمًا».

وكذا قالَ قتادَةُ، وابنُ جُرَيجٍ، والضَّحَّاكُ[2].

ولا شكَّ أنَّ التَّكاملَ والتَّعاوُنَ والتَّنسيقَ بَينَ الجهاتِ العسكريَّةِ والأَمنِيَّةِ لهُ أَعظَمُ الأثرِ في تَحقيقِ الأَمنِ والسَّلامةِ في رُبوعِ الوَطنِ، وبَينَ أَفرادِ المُجتَمعِ، وبينَ هذهِ الحُشودِ المُباركةِ والجُموعِ الغَفيرةِ الَّتي تَتوافدُ علىٰ بلادِ الحرَمَينِ في كلِّ وَقتٍ؛ يبتغونَ فَضلًا مِن ربِّهم ورِضوانًا، فتفرشُ لهمُ المملكةُ بُسطَ التَّرحابِ، وتعدُّ لهُم أَكرمَ النُّزل، وتُهيِّئُ لهُمُ الأجواءَ المناسبةَ، لأداءِ مَناسكِهم، وإتمامِ عِباداتهم.

ومَن أَوفَىٰ حظًّا وأَعظمُ عطاءً وبَذلًا، مِمَّن بَذلَ غايَةَ الجهدِ،

(١) تفسير السعدي (ص: ٤٨٥).

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٣٧١-٣٧٢)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٨٢-٢٣٨٣).

وسَعَىٰ أحثَّ السَّعيِ؛ لتَحقيقِ الأمنِ والاستقرارِ لضُيوفِ الرَّحمنِ، مِن حينِ تَحطُّ رحالهُم في تلكَ البقاعِ الطَّيِّبةِ، إلىٰ حينِ تلوحُ لهُمُ الأَيدِي بالسَّلامِ وهُم يُغادِرونَ إلىٰ بِلادِهِم، وقدِ اندَسَّتْ في طَوايا نُفوسِهم فَرحةُ الغانِمينَ مُختلطةً بأحزانِ المكروبينَ والمَهمومينَ؛ إذْ يُودِّعونَ الحرمَينِ الشَّريفَينِ.

ومِمَّا يَنبغِي الاهتمامُ بهِ والحثُّ علَيهِ: ضرورةُ التَّعاوُنِ معَ الجهاتِ الرَّسمِيَّةِ الَّتي تَعملُ علىٰ خدمةِ الوافِدينَ والقاصِدينَ وَجهَ اللهِ ربِّ العالمينَ، وتنظيمِ شُؤونِهم، والسَّعيِ في تحقيقِ مَصالحِهم، وإعانتِهم علىٰ جميعِ أُمورِهِم؛ فإنَّ مِن أحبِّ النَّاسِ إلىٰ اللهِ أَنفعَهم للنَّاسِ، ولا شيءَ هو أنفعُ للعَبدِ مِن عبادَتِه الَّتي خُلقَ لها، فمَن أعانَه علىٰ عبادتِه وطاعتِه لرَبِّه أثابَهُ اللهُ أَحسنَ الثَّوابِ، وأجزلَ لهُ العَطِيَّةَ في المآبِ.

وتعاوُنُ المسلمينَ فيما بَينَهُم لاستِتبابِ الأمنِ وتَحقيقِ السَّلامِ، وإعانةُ الجهاتِ المُختصَّةِ علىٰ احترامِ الأنظمةِ ورعايةِ القوانينِ، الَّتي ما وُضِعَتْ إلَّا لأجلِ راحةِ العبادِ وأَمنِ البلادِ، لهُوَ مِن أشرفِ صُوَرِ التَّعاوُنِ، وأَحمَدِ السَّعيِ.

ويُمكِنُ لشُرَكاءِ النَّجاحِ تَدريبُ المُوَظَّفينَ والعُمَّال الجُدُدِ،

والمُساهَمةُ في تَطويرِ قُدُراتِهم ومَهاراتِهمُ الفَنِّيَّةِ والبَدنيَّةِ والذِّهنِيَّةِ؛ حتَّىٰ يَصيرُوا ناجِحينَ مِثلَهُم، فالمُؤمِنُ يُحبُّ الخَيرَ لأَخيهِ المُؤمِنِ؛ عملًا بِقَول النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»(١).

قالَ الحافظُ ابنُ حَجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَوْلُه: «مَا يُحِبّ لِنَفْسِهِ» أَيْ: مِنَ الخَيْرِ، كَمَا تَقَدَّمَ عِندَ الإِسْمَاعِيلِيِّ، وَكَذَا هُوَ عِنْدَ النَّسَائِيِّ.

وَالخَيْرُ: كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ تَعُمُّ الطَّاعَاتِ وَالمُبَاحَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالأُخْرَوِيَّةِ، وَتُخْرِجُ المَنْهِيَّاتِ؛ لأَنَّ اسْمَ الخَيْرِ لا يَتَنَاوَلُهَا»(٢).

ولا بُدَّ أنَّهُم مَرُّوا بِمَراحل فَشلٍ وإِخْفاقٍ سابِقَةٍ للنَّجاحِ والتَّميُّزِ، فيَنبَغِي مَعرِفَتُها للحَذرِ مِنها وتَوقِّيها؛ حتَّىٰ لا نُكَرِّرَ الخَطأَ نَفسَه، فقَدْ قالَ اللهُ تَعالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ [النساء: ٧١].

وقالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ**»(٣).

---

(١) رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) فتح الباري (١/ ٥٧).

(٣) رواه البخاري (٦١٣٣)، ومسلم (٢٩٩٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالفَشلُ في تَجربةٍ يَجعَلُكَ أَكثرَ وَعيًا عندَ تَكرارِ التَّجربةِ نَفسِها، ويُقلِّلُ مِن نِسبةِ وُقوعِكَ في الأخطاءِ السَّابقةِ، بِشَرطِ أنْ تَتعلَّمَ مِن أخطائِكَ السَّابِقةِ جَيِّدًا.

والعاقلُ يَتَّخِذُ مِن تجاربِه الفاشِلةِ حافزًا للنُّهوضِ والنَّجاحِ، فهو ذُو صَبرٍ وعَزيمَةٍ وذَكاءٍ، بحيثُ يَستفيدُ مِن خَطئِه ويَعرِفُه، فلا يُكَرِّرُه، ويستفيدُ مِن نجاحِه، فيَعرفُ أَسبابَه، فيَزيدُ مِنهُ ويُطوِّرُه، وهو يقولُ بلسانِ حاله:

لَأَستَسهِلَنَّ الصَّعبَ أو أُدرِكَ المُنَىٰ

فما انقادَتِ الآمــالُ إلَّا لصابرِ

قالَ ابنُ الجَوزِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَن أَعملَ فِكرَهُ الصَّافِي، دلَّهُ علىٰ طَلبِ أَشرفِ المَقاماتِ، ونَهاهُ عنِ الرِّضا بالنَّقصِ في كُلِّ حالٍ.

وقدْ قالَ أبو الطَّيِّبِ المُتنبِّي:

وَلَمْ أَرَ فِي عُيُــوبِ النَّاسِ عَيْبًا

كَنَقْصِ القادِرينَ علــىٰ التَّمامِ

فيَنبغِي للعاقل أنْ يَنتهِيَ إلىٰ غايَةِ ما يُمكِنُه»[1].

(١) صيد الخاطر (ص١٧٣).

وصاحبُ الهمَّةِ العاليَةِ يَصبُو دائمًا إلىٰ مَعالي الأُمورِ، **كما قالَ الشَّاعِرُ:**

عَلَىٰ قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأتِي العَزَائِمُ

وَتَأتي عَلَىٰ قَدْرِ الكِرَامِ المَكَارِمُ

وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا

وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ العَظِيمِ العَظَائِمُ

قالَ الشَّوكانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَنبغِي لمَن كانَ صادِقَ الرَّغبةِ، قَوِيَّ الفَهْمِ، ثاقبَ النَّظرِ، عَزيزَ النَّفسِ، شَهمَ الطَّبعِ، عاليَ الهِمَّةِ، ساميَ الغَريزةِ، ألَّا يَرضَىٰ لنَفسِه بالدُّونِ، ولا يقنعَ بِما دونَ الغايَةِ، ولا يَقعدَ عنِ الجِدِّ والاجتِهادِ المُبلِّغَيْنِ لهُ إلىٰ أَعلَىٰ ما يُرادُ، وأَرفعِ ما يُستفادُ؛ فإنَّ النُّفوسَ الأَبِيَّةَ، والهِمَمَ العليَّةَ، لا تَرضَىٰ بِدونِ الغايَةِ في المَطالبِ الدُّنيَوِيَّةِ، مِن جاهٍ، أو مالٍ، أو رئاسةٍ، أو صناعةٍ، أو حرفةٍ، حتَّىٰ قالَ قائِلُهُم:

إِذَا غَامَــرْتَ فِي شَــرَفٍ مَرُومِ

فَلا تَقْنَــعْ بِمَــا دُونَ النُّجُــومِ

فَطَعْــمُ المَوْتِ فِي أَمْــرٍ حَقِيرٍ

كَطَعْــمِ المَوْتِ فِــي أَمْرٍ عَظِيمِ

وقدْ وَردَ هذا المعنَىٰ كثيرًا في النَّظمِ والنَّثرِ، وهو المطلَبُ الَّذي تَنشطُ إلَيهِ الهِمَمُ الشَّريفَةُ، وتَقبلُه النُّفوسُ العَليَّةُ»[1].

يَتَعَــاوَنُ الأَخْيَارُ فِيمَــا بَيْنَهُمْ
مُسْــتَحْضِرِينَ أُخُــوَّةَ الإِيمَانِ

كَيْ يصْبِحُوا بَعْدَ التَّعَاوُنِ بَيْنَهُمْ
مُتَمَاسِــكِينَ تَمَاسُــكَ البُنْيَانِ

فَيَدُ الإِلَــهِ عَلَىٰ الجَمَاعَةِ عِصْمَةٌ
لَهُــمُ، وَفُرْقَتُهُمْ مِنَ الشَّــيْطَانِ

أَهْدَافُنَــا: إِسْــهَامُنَا البَنَّاءُ فِي
تَحْقِيــقِ رُؤْيَةِ أَعْظَــمِ الأَوْطَانِ

أَكْرِمْ بِمَمْلَكَــةٍ بِهَا حَرَمَا الهُدَىٰ
عَرَبِيَّــةٍ كَنَبِيِّنَــا العَدْنَانِــي

آلُ السُّــعُودِ حُمَاتُهَا، وَرُعَاتُهَا
خَــدَمٌ لبَيْــتِ إِلَهِنَــا الرَّحْمَنِ

(١) أدب الطلب ومنتهىٰ الأرب (ص١٨٠).

فَــأَدِمْ إِلَــهَ العَرْشِ عِــزَّ بِلَادِنَا
وَاحْفَــظْ عَلَيْهَا نِعْمَــةَ الإِيمَانِ

خَفَّاقَــةَ العَلَــمِ الرَّفِيــعِ أَبِيَّــةً
مَحْفُوظَــةً مِنْ مَكْــرِ كُلِّ جَبَانِ

رَغْــدَاءَ وَافِــرَةَ الرَّخَــاءِ غَنِيَّةً
بِالخَيْــرِ يَنْعَــمُ أَهْلُهَــا بِأَمَانِ

وَنُعَلِّــمُ القُــرْآنَ خَيْــرَ عُلُومِنَا
وَالسُّــنَّةَ الغَــرَّاءَ كَالفُرْقَــانِ

وَمَكَانَةُ الوَطَنِ الحَبِيبِ، وَدَوْرُهُ
فِي الدِّينِ لَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ إِنْسَــانِ

وَنُتَرْجِمُ الدِّيــنَ الحَنِيفَ عُلُومَهُ
كَيْ يَسْــتَبِينَ لأَهْل كُلِّ لسَــانِ

وَنُطَــوِّرُ الأَكْفَاءَ كَــيْ يَتَمَيَّزُوا
وَتَعَاوُنًــا مَعَ كُلِّ ذِي إِحْسَــانِ

تَسْــخِيرُ تِقْنِيَّاتِهِــمْ وَعُلُومِهِمْ
رِبْــحٌ لَنَا فِــي سَــائِرِ الأَزْمَانِ

هَذِي بَرَامِجُ للرِّئَاسَــةِ سَــبْعَةٌ
مِنْهَــا لأَهْــلِ إِمَامَــةٍ وَأَذَانِ

وَالثَّــانِ للْكُتْبِ المُفِيــدَةِ إِنَّهَا
سَــبَبٌ لنَشْــرِ العِلْمِ وَالإِيمَانِ

وَكَذَاكَ مَقْــرَأَةٌ تُرَحِّــبُ دَائِمًا
بالطَّالِبِيــنَ تَعَلُّــمَ القُــرْآنِ

وَكَذَا الــدُّرُوسُ المَنْهَجِيَّةُ إِنَّهَا
نَبْــعٌ صَفَــا للْــوَارِدِ الظَّمْــآنِ

وَإِجَابَــةٌ للسَّــائِلينَ فَإِنَّهَــا
نُــورٌ يُنِيــرُ الــدَّرْبَ للْحَيْرَانِ

وَكَــذَاكَ تَوْعِيَةُ العِبَادِ وَحِسْــبَةٌ
بِتَلَطُّــفٍ فِــي سَــاحَةِ المَيْدَانِ

دَوْرَاتُ تَدْرِيــبٍ لأَهْــلِ كَفَاءَةٍ
دَعْمًا لَهُــمْ للْحِــذْقِ وَالإِتْقَانِ

يَا رَبِّ بَارِكْ فِي الجُهُودِ وَأَهْلِهَا
وَرِئَاسَــةِ الحَرَمَيْنِ ذَاتِ الشَّانِ

قِيَـــمٌ لَنَا سَـــبْعٌ، كَـــذَا أَهْدَافُنَا

فَاظْفَرْ بِهَـــا يَا طَالِـــبَ الإِتْقَانِ

وَبَرَامِـــجٌ مِنْ بَعْدِ ذَلكَ سَـــبْعَةٌ

كاللُّؤْلُـــؤِ المَنْظُـــومِ وَالمَرْجَانِ

هذا، وباللهِ التَّوفيقِ.

ونسألُه سُبحانَه أنْ يُوفِّقَ القائِمينَ علىٰ شُؤونِ الحَرمَينِ لكلِّ خَيرٍ، وأنْ يَجزيَهُم خيرًا عن حُجَّاجِ بيتِه، وأنْ يحفظَ بلادَ الحرَمَينِ مِن كلِّ سُوءٍ، آمينَ.

والحمدُ للهِ ربِّ العالَمينَ.

وصَلَّىٰ اللهُ وسَلَّمَ علىٰ نَبيِّنا محمَّدٍ، وعلىٰ آله وأصحابِه أجمعينَ.

المحتويات

مقدرمة الرئاسة ٥

مقدمة الكتاب ٧

القيمة الأولىٰ: **تَعظيمُ الحَرمَينِ** ١٣

القيمة الثانية: **إِتْقانُ العَمل** ٣٥

القيمة الثالثة: **حُبُّ الهِدايةِ** ٤٥

القيمة الرابعة: **الحَفاوَةُ** ٥٦

القيمة الخامسة: **تَمكِينُ الفَريقِ** ٦٧

القيمة السادسة: **تبنِّي الإبْداعِ** ٧٦

القيمة السابعة: **التَّعاوُنُ** ٨١

حرمين
رئاسة الشؤون الدينية
بالمسجد الحرام والمسجد النبوي